# الأندلس

## الفتح والسقوط

### تحليلات قصيرة



نبيل بن على

ISBN: 978-1-8383865-1-1

طب الأرواح و القلوب

التاريخ الإسلامي

# الأندلس

# الفتح والسقوط

## تحليلات قصيرة

نبيل بن على

Nabil Ben Aly

Whatsislam.co.uk

ISBN: 978-1-8383865-1-1

CONFIDENTIAL

# المُقدمة

إن تاريخ العرب والمُسلمين في الأندلس بصفحاته الطويلة تظهر فيه سنن الله في النصر والهزيمة والقيام والسقوط جلية واضحة، وفيه من الدروس والعبر الكثير. أجدادنا صنعوا في الأندلس واحدة من أعظم الحضارات في التاريخ وأكثرها تقدما وتسامحا وعدلا وتعايشا بين الأديان. إن قصة سقوط الأندلس والمصير المحزن الذي صارت إليه قصة مؤلمة جداً، إلا أنه لا بد من قراءة هذا التاريخ وكيف ضاع، وكيف سقطت الحضارة الأندلسية بعد بناء دام قروناً عديدة. قد تؤلمنا الأعداد الهائلة من أرواح الشهداء الذين سقطوا على أرضها والنساء اللواتي انتهكت أعراضهن، وقد يؤلمنا أعداد الخونة من بني جلدتنا، لكن قراءتنا لتاريخ الأندلس ستوصلنا إلى حقائق مهمة ونافعة للأمة في حاضرها ومستقبلها.

**الأنْدَلُس** هي إقليمٌ وحضارةٌ إسلاميَّة قروسطيَّة قامت في أوروبَّا الغربيَّة وتحديدًا في شبه الجزيرة الأيبيريَّة « أيبيريا الإسلاميَّة»، على الأراضي التي تُشكِّلُ اليوم إسپانيا والپرتغال، وفي ذُروة مجدها وقوَّتها خلال القرن الثامن الميلاديّ امتدَّت وُصولًا إلى سپتمانيا في جنوب فرنسا المُعاصرة. غير أنَّ التسمية- الأندلس- عادةً ما يُقصد بها فقط الإشارة إلى الأراضي الأيبيريَّة التي فتحها المُسلمون وبقيت تحت ظل الخِلافة الإسلاميَّة والدُويلات والإمارات الكثيرة التي قامت في رُبوعها وانفصلت عن السُلطة المركزيَّة في دمشق ومن ثُمَّ بغداد، مُنذ سنة 711م حتَّى سنة 1492م حينما سقطت الأندلس بيد اللاتين الإفرنج وأُخرج منها المُسلمون، علمًا أنَّه طيلة هذه الفترة كانت حُدودها تتغيَّر، فتتقلَّص ثُمَّ تتوسَّع، ثُمَّ تعود فتتقلَّص، وهكذا، استنادًا إلى نتائج الحرب بين المُسلمين والإفرنج. قُسِّمت الأندلس إلى خمس وحداتٍ إداريَّة بعد فتحها واستقرار الحُكم الإسلامي فيها، وتلك الوحدات تُقابلُ تقريبًا كُلًا من: منطقة أندلوسيا، والجُمهوريَّة البرتغاليَّة، ومنطقة جليقية (غاليسيا)، ومنطقة أراگون المُعاصرة؛ ومنطقة قشتالة، ومملكة ليون، وكونتيَّة برشلونة، ومنطقة سپتمانيا التاريخيَّة. أمَّا من الناحية السياسيَّة، فقد كانت في بادئ الأمر تُشكِّلُ ولايةً من ولايات الدولة الأُمويَّة زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك، وبعد انهيار الدولة الأُمويَّة وقيام الدولة العبَّاسيَّة، استقلَّ عبد الرحمٰن بن مُعاوية، وهو أحد أُمراء بني أُميَّة

الناجين من سُيُوف العبَّاسيين، استقلَّ بالأندلس وأسس فيها إمارة قُرطُبة، فدامت 179 سنة، وقام بعدها عبد الرحمٰن الناصر لِدين الله بإعلان الخِلافة الأُمويَّة عوض الإمارة، لِأسبابٍ سياسيَّة خارجيَّة في الغالب، وقد تفككت الدولة الأخيرة في نهاية المطاف إلى عدَّة دُويلات وإمارات اشتهرت باسم «الطوائف». كانت الإمارات والدُول الأندلُسيَّة المُتعاقبة مرتعًا خصبًا للتحاور والتبادل الثقافي بين المُسلمين والمسيحيين واليهود من جهة، وبين العرب والبربر والقوط والإفرنج من جهةٍ أُخرى، وقد انصهرت هذه المُكونات الثقافيَّة في بوتقةٍ واحدة وخرج منها خليطٌ بشري وحضاري ميَّز الأندلس عن غيرها من الأقاليم الإسلاميَّة، وجعل لها طابعًا فريدًا خاصًا. كانت الشريعة الإسلاميَّة هي المصدر الأساسي للقضاء وحل المُنازعات، وترك المُسلمون أهل الكتاب من اليهود والنصارى يرجعون إلى شرائعهم الخاصَّة للتقاضي والتظلُّم، لقاء الجزية.

**نبيل بن على**

CONFIDENTIAL

## المُحتوي


**المُقدمة** 3

**الباب الأول : فتح المُسلمين للأندلُس** 7

- **عصر الولاة** 10
- **الخِلافة الأمويَّة - خِلافة قَرطُبة** 16
- **الدولة العامرية** 23
- **عهد مُلوك الطوائف - الفترة الأولى** 26
- **دولة المُرابطين** 30
- **دُويلات الطوائف** - الفترة الثانية 35
- **العهد المُوحدي** 36
- **دُويلات الطوائف** - الفترة الثالثة 40
- **المرينيون** 42
- **مملكة غرناطة** 46

**الباب الثاني : سقوط الأندلس** 53

- **أسباب سقوط الأندلس- الأسباب العامة** 55
- **أسباب سقوط الأندلس- الأسباب التفصيلية** 65
- **أسباب سقوط الأندلس - أسباب السقوط النهائي** 100


CONFIDENTIAL

- **ما بعد سقوط غرناطة** 102
- **أهم المعارك** 107

**الباب الثالث : إسهامات حضارة الأندلس** 117

- **كيف ساهم المسلمون في نهضة أوروبا- التسامح** 120
- **كيف ساهم المسلمون في نهضة أوروبا-إنجازات المسلمين** 122
- **سبق المسلمين لنظرائهم الأوروبيين** 128


CONFIDENTIAL

# الباب الأول

## فتح المُسلمين للأندلُس

### (الفتحُ الإسلامي)

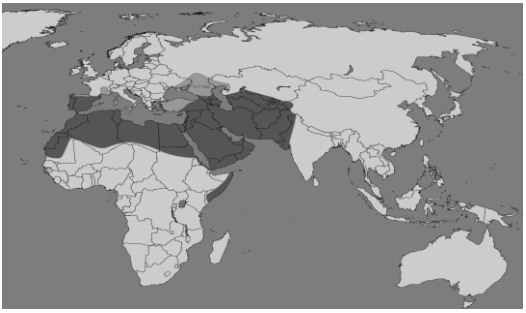
**رمضان سنة 92 هـ/ يوليو 711 م**

CONFIDENTIAL

يُعدُّ فتح المُسلمين للأندلُس امتدادًا طبيعيًا لِفُتوح شمالي أفريقيا. والمعروف أنَّ المُسلمين وصلوا في فُتوحهم إلى المغرب الأقصى المُواجه لِشبه الجزيرة الأيبيريَّة في عهد الخليفة الأُموي الوليد بن عبد الملك (الوليد الأول- توفي في 715 م/ 96 هـ بمنطقة دير مروان بغوطة دمشق وصلى عليه عمر بن عبد العزيز لأن أخاه سليمان كان بالقدس) الذي شجَّع هذا التوجّه وأعطى السياسة الخارجيَّة اهتمامًا خاصًا بعد أن كانت الأوضاع الدَّاخليَّة في الدولة الأُمويَّة هادئة ومُستقرَّة. وكان المُتعارف عليه أن يضطلع الوالي الذي فتح أراضٍ جديدة بفتح ما يليها لو توافرت الظُروف المُناسبة، وهكذا كان يُفترض أن يتولّى فاتحُ المغرب، وهو والي أفريقية حسَّان بن النُعمان، مُهمَّة فتح الأندلُس، لاسيَّما وأنَّ كان لهُ الفضل في تطهير منطقة المغرب من النُفوذ البيزنطي والقضاء على ثورة البربر الثانية، لكنَّهُ استُبدل بِقائدٍ آخر ما أن انتهى من حل المشاكل الخارجيَّة لِولايته، وكان هذا القائد هو مُوسى بن نُصير. غادر موسى بن نُصير مصر مُتجهًا إلى أفريقية يُرافقه أولاده الأربعة وتولّى مقاليد الولاية واهتمَّ بتثبيت دعائم النصر الذي حققه سلفه في المغرب ففتح ما تبقّى من مُدنٍ وقلاع خارجة عن سيطرة المُسلمين، وأرسل أولاده في كُل اتجاه لِتثبيت أقدام المُسلمين في المناطق المفتوحة وأقبل البربر على اعتناق الإسلام، وتطوَّع الكثير منهم في الجُيوش كجُنودٍ مُحاربين لِأنَّ مُعظم قبائل البربر أخذت، بعد اعتناقها الإسلام، تتوق إلى الحرب والجهاد. وقد أدرك بن نُصير هذه النزعة فاستغلَّها بتوجيههم إلى الفُتوحات الخارجيَّة، ولم يكن أمامه في هذه الحالة سوى عُبور المضيق الفاصل بين المغرب وأيبيريا لِتحقيق هذا الغرض.

ولكن بقيت مدينة سبتة خارج نطاق الدولة الأُمويَّة، وكانت تتبع للإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، إلَّا أنَّها فقدت تأثيرها الأمر الذي جعل حاكمها يوليان مُستقلًا على الشريط الساحلي المُمتد بين طنجة وسبتة، ويتوجَّه في وقت الشِّدَّة إلى مملكة القوط الغربيين (المُمتدَّة عبر أغلب أنحاء إسپانيا والپرتغال المُعاصرتين وقسمٌ بسيط من جنوب فرنسا). كان بين يوليان و لذريق (رودريك) ملك القوط (السكان الأصليين) آنذاك حقدٌ وعداوة،واقترح يوليان غزو أيبيريا فاتصل بمولى بن نُصير أمير طنجة طارق بن زياد (من البربر) وبادر طارق بن زياد بالاتصال بموسى بن نُصير وأبلغه بما عرضه عليه يوليان فكتب موسى إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يُبلغه

بما عرضه يُوليان ويستأذنه بالعُبور، فردَّ الوليد عليه بأن يتروّى ويختبر البلاد بالسرايا أولًا. بناءً على هذا، أرسل موسى [سنة 91هـ-سنة 710م] أحد القادة، طريف بن مالك المعافري، وهو من البربر، في مُهمَّةٍ استطلاعيَّة وللقيام بغارة على ساحل أيبيريا الجنوبي، فنزل جزيرة «پالوماس» (سُميت باسمه مُنذ ذلك الحين- طريف)، وأغار على المناطق التي تليها إلى جهة الجزيرة الخضراء وعاد مُحمَّلًا بالغنائم، ومُقتنعًا بضعف وسائل الدفاع الأيبيريَّة. شجَّع نجاح طريف موسى بن نُصير، فأرسل، في شهر رمضان سنة 92هـ المُوافق فيه شهر حُزيران (يونيو) سنة 711م، قُوَّةً عسكريَّةً قوامها سبعة آلاف مُقاتل،غالبيَّتُها من البربر، بِقيادة نائبه على طنجة طارق بن زياد. عبر طارق المضيق، ونزل تجاه الجزيرة الخضراء عند صخرة الأسد، وسيطر على الجبل بعد أن اصطدم بالحامية القُوطيَّة. وقد حمل الجبل مُنذ ذلك الوقت اسمه، فدُعي «جبل طارق» وعُرف المضيق بمضيق جبل طارق.أقام القائدُ المُسلم عدَّة أيَّام في قاعدة الجبل، نظَّم خلالها جيشه، وأعدَّ خطَّة لِفتح القلاع القريبة والتوغُّل في عُمق أيبيريا، ونجح في فتح بعض القلاع والمُدن منها قرطاجنة والجزيرة الخضراء، ثُمَّ تقدَّم باتجاه الغرب وإلتقى الجيشان الإسلامي والقُوطي عند وادي لكة إلى الشرق من قادش، وجرت بينهما معركةً طاحنة (**معركة وادي لكة** أو **سهل البرباط**- رمضان 92 هـ/ يوليو 711 م)انتهت بانتصار المُسلمين، وتمَّ القضاء على جيش القوط الغربيين ومعهُ الملك لذريق (رودريك). حقق بن زياد وجنده نصراً مؤزراً ، حيث انتصر المسلمون وهم 12 ألفاً على 100 ألف من أعدائهم الفرنجة.



الدولة الأُمويَّة بعد فتح الأندلُس

CONFIDENTIAL

# الفصل الأول

# عصر الولاة

## (92هـ- 138هـ)-(711م-756م)

CONFIDENTIAL

فتح إنتصار **معركة سهل البرباط** أمام المُسلمين بابًا واسعًا للوُلوج منهُ إلى عُمق أيبيريا، وأخذت المُدن والقلاع تتساقط تباعًا، وهكذا فُتحت قُرطُبة ومالقة وإلبيرة وأريولة وطُليطلة، العاصمة القوطيَّة الشهيرة. وطارد المُسلمون فُلول الهاربين باتجاه الشمال الغربي قبل أن يعودوا إلى طُليطلة في خريف سنة 93هـ المُوافقة لِسنة 712م، لِتنتهي هذه المرحلة من عمليَّة فتح أيبيريا. أقلع موسى بن نُصير في شهر رمضان سنة 93هـ المُوافق فيه شهرُ حُزيران (يونيو) سنة 712م إلى الجزيرة الخضراء على رأس قُوَّة عسكريَّة ,وجدَّد موسى لِطارق إمرة الجيش واشتركا معًا في حملةٍ عسكريَّةٍ استهدفت مدينة سرقسطة في إقليم أراگون ففتحاها. ثُمَّ افترقا فسار موسى نحو الشمال مُخترقًا جبال البرينييه، فغزا ولاية سپتمانيا، وفتح قرقشونة وناربون، وغزا وادي الرون في بلاد الفرنجة ووصل إلى مدينة ليون. في هذه الأثناء تلقَّى كُلٍ من موسى بن نُصير وطارق بن زياد أمرًا من الخليفة بِوقف العمليَّات العسكريَّة والعودة فورًا إلى دمشق، وهكذا انتهت فُتوحات الأندلس الأساسيَّة. قيل أن موسى استخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز بن موسى، ولما عبر البحر إلى سبتة استخلف عليها وعلى طنجة وما والاهما ابنه عبد الملك، واستخلف على إفريقية وأعمالها ابنه الكبير عبد الله، ثم مات الوليد بن عبد الملك- الوليد الأول، وخلفه سليمان بن عبد الملك، ولم تكن علاقته جيدة مع موسى بن نصير، فعزله عن جميع أعماله وأقصاه .

أصبحت الأندلُس بعد فتحها ولايةً من ولايات الدولة الأُمويَّة، واستمرَّت تخضع للسُلطة المركزيَّة في دمشق حتَّى عهد هشام بن عبد الملك (105 - 125هـ \ 724 - 743م). وعندما ضعُفت الحُكومة المركزيَّة، وانهمك وُلاة وأُمراء شمالي أفريقيا بِشؤونهم الداخليَّة وفي مُقدِّمتها ثورات البربر بعد أن استقطبهم الخوارج (الطائفة التي خرجت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد قبوله التحكيم في موقعة صفّين- سنة 37هـ- بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ولم يرجعوا معه إلى الكوفة واعتزلوا صفوفه، ثم أسس معاوية الدولة الأموية)، بات لزامًا على المُسلمين في الأندلُس أن يُدافعوا عن أنفُسهم بأنفُسهم. وقد حاول المُسلمون مُنذُ سنة 100هـ - 718م الاندفاع وراء جبال البرينييه في جالة (غالة)، فحصلت بينهم وبين الإفرنج عدَّة وقعات عنيفة انتصر المُسلمون في بدايتها، ثُمَّ انقلبت الآية عليهم.

**معركة تولوز-** ذي الحجة 102 هـ/ يونيه 721 م

معركة دارت في تولوز بين جيش الدولة الأموية بقيادة السمح بن مالك الخولاني (كان الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز قد ولّاه على الأندلس سنة 100 هـ) وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقى ، وقوات دوق أقطانية (أكوتين) بقيادة أودو دوق أقطانيا. بعد نجاح الأمويون في التقدم بقواتهم خلف جبال البرانس وضمّ سبتمانيا، اتخذوا من أربونة قاعدة لانطلاق حملاتهم للتوسع في غرب أوروبا. في سنة 102 هـ، جهز السمح حملة للغزو والتوسع شرقًا في غرب أوروبا قادها بنفسه. علم أودو دوق أقطانية بذلك وأعد جيشًا من السكان المحليين، الباسكيين والغاسكونيين، لردّ الأمويين. والتقى الجيشان في 9 ذي الحجة 102 هـ/9 يونيه 721 م بالقرب من تولوز، ودارت معركة كبيرة انتهت بانتصار الدوق أودو،وهزيمة الأمويين ومقتل قائدهم السمح بن مالك الخولاني.

**معركة بلاط الشهداء-** رمضان سنة 114هـ- اكتوبر 732م

فى ربيع سنة 732 م دخل المُسلمون (بقيادة عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى واليً الأندلس الذى تجمع الرواية الإسلامية على تقديره والإشادة بعدله وتقواه) بمصادقة الخليفة هشام بن عبد الملك فى صفر سنة 113 هـ/ ابريل 731 م، غاليس أو جاليس (فرنسا) مخترقًين ولاية أراجون فى الثغر الأعلى ونافار وعبر جبال البرنيه وتم فتح مدينة آرل الواقعة على نهر الرون لتخلفها عن أداء الجزية بعد معركة عنيفة نشبت على ضفاف النهر بينه وبين قوات الدوق أودو (أمير أكوتين) ودخل عبد الرحمن بردال "بوردو" بعد حصار قصير وفر الدوق للشمال إلى خصمه القديم كارل(شارل) مارتل (زعيم الفرنج فى فرنسا والمعروف كذلك بشارل المطرقة) يطلب منه العون والنجدة. وواصل عبد الرحمن زحفه إلى ان وصل مدينة سانس (تبعد عن باريس نحو 100 ميل فقط) وبذلك يعتبر الغافقى قد افتتح النصف الجنوبى لفرنسا كله من الشرق للغرب. اشتبك المُسلمون (خمسون ألفًا) والفرنجة (أربعمائة ألف) في رحى معركةٍ عنيفة- **معركة بلاط الشهداء** أو **معركة تور-** فى المنطقة الواقعة بين مدينتى تور Toursعلى نهر اللوار-Loire ، وبواتييه



CONFIDENTIAL

Poitiersعلى نهر كلين. كان الشقاق فى الجيش الاسلامى يضطرم وكان هناك جزء يتوق إلى الإنسحاب بالغنائم الكبيرة التى غنموها فى غزوهم لفرنسا، وقدّر عبد الرحمن خطر هذه الغنائم على نظام الجيش وحاول عبثًا ان يحملهم على ترك شئ منها ولكنه لم يشدد فى ذلك خشية تمرد الجند، وكان المسلمون من جهة أخرى قد أنهكتهم غزوات أشهر متواصلة منذ دخولهم الى الارض الكبيرة فرنسا ونقص عددهم بسبب تخلف حاميات عديدة منهم فى كثير من القواعد والمدن المفتوحة. نشبت المعركة الضخمة، فاقتتلا حتى دخول الليل واستأنفا القتال فى اليوم التالى، وأبدى كلاهما منتهى الشجاعة والجلد ثم بدا الإعياء على الفرنجة ولاح النصر للمسلمين ولكن حدث عندئذ أن افتتح الفرنج ثغرة فى معسكر الغنائم الإسلامى وخُشى عليه من السقوط فى أيديهم، فارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة إلى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم وتواثب الكثير من الجند للدفاع عن غنائمهم فدب الخلل فى صفوف المسلمين، وعبثًا حاول عبد الرحمن ان يعيد النظام وأن يهدئ من روع الجند وبينما هو يتنقل أمام الصفوف يقودها أصابه من جانب الأعداء سهم أودى بحياته فسقط قتيلًا من فوق جواده وعم الذعر والإضطراب فى الجيش الإسلامى واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين وكثر القتل فى صفوفهم، وصمد الجيش الاسلامى فى القتال حتى الليل وافترق الجيشان دون فصل وكان ذلك فى يوم الحادى والعشرين من اكتوبر سنة 732م أوائل رمضان سنة 114 هـ. انهزم المُسلمون، وغادروا فى اليوم التالى واكتفى شارل بذلك ولم يتعقب الجيش الاسلامى خوفًا ان يكون هناك كمين من المسلمين ووجد بعض الجرحى من المسلمين الذين لم يستطيعوا مرافقة الجيش المنسحب فذبحهم. وتوقَّف المدُّ الإسلامي باتجاه قلب أوروبَّا.

**معركة بقدورة** - رمضان سنة 123 هـ

في سنة 123 هـ وقعت **معركة بقدورة** ، بين ثوار البربر والجيش الاموي الذي يقوده كلثوم بن عياض القشيري. كان قد استعمل والي أفريقية عبيد الله بن الحبحاب السلولي على طنجة وما والاها عمر بن عبد الله المرادي، فأساء السيرة وتعدى في الصدقات والقسم، وأراد أن يخمس البربر وزعم أنهم فيء للمسلمين، وذلك ما لم

يرتكبه عامل قبله. وإنما كانت الولاة يخمسون من لم يجب منهم إلى الإسلام. فانتقضت البربر بطنجة على عبيد الله وتداعت عليه بأسرها، وذلك في سنة 122 هـ. وهي أول فتنة كانت بإفريقية في الإسلام. وظهر بالمغرب في ذلك الوقت قوم جرت منهم دعوة الخوارج الصفرية، وصار منهم عدد كبير وشوكة قوية. وانتقضت البلاد واختلفت الأمور على عبيد الله. فاجتمع الناس وعزلوه وبلغ ذلك الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك فاستعمل على إفريقية كلثوم بن عياض القشيري، فقدم في شهر رمضان سنة 123 هـ، وقد عقد له على اثني عشر ألف فارس من أهل الشام. وكتب إلى والي كل بلد أن يخرج معه، فسار معه عمال مصر وبرقة وطرابلس وكان معه من القادة والوجهاء أبن اخيه بلج القشيري وثعلبة بن سلامة والصميل بن حاتم وغيرهم من وجهاء العرب ، فاستخلف كلثوم بن عياض على القيروان قاضي إفريقية عبد الرحمن بن عقبة الغفاري ، وكان القائد حبيب بن أبي عبيدة الفهري غائبا يقاتل البربر، فسار كلثوم ومن معه حتى وافى البربر (خالد بن حميد الزناتي)، وهم على وادي طنجة، وهم في ثلاثين ألفاً. التقوا في وادي طنجة واقتتلوا قتالاً شديداً(**معركة بقدورة**) فقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبيدة الفهري و بعض وجوه العرب، وانهزمت العرب. كانت هزيمة أهل الشام إلى مدينة سبتة ثم أتجهوا إلى الأندلس ، وهزيمة أهل مصر وأهل إفريقية إلى إفريقية ، وأستطاع حسان بن عتاهية التجيبي حماية مؤخرة الجيش بعد الانسحاب وقاتل البربر قتالا شديداً . ثم استعمل الخليفة هشام بن عبد الملك والي مصر حنظلة بن صفوان الكلبي والياً على إفريقية سنة 124 هـ. فلم يمكث بالقيروان إلا قليلاً و رأى حنظلة أن يعجل قتال عكاشة بن أيوب الفزاري زعيم الخوارج الصفرية في جمع عظيم من البربر، ، لم ير أهل إفريقية مثله ولا أكثر منه، وكان البربر على مذهب الخوارج الصفرية يستحلون الدماء وسبي النساء. والتقوا بالقرن وكان بينهم قتال شديد فني فيه خلق كثير. فأنهزم عكاشة والخوارج . وقتل منهم ما لا يحصى عددة. وانصرف حنظلة إلى القيروان خوفاً أن يصلها قبله زعيماً أخر الخوارج ,عبد الواحد بن يزيد الهواري, في عدد عظيم. والتقوا بالأصنام من جراوة ثلاثة أميال عن القيروان (**غزوة القرن والأصنام**)، واقتتلوا فكانت الهزيمة على البربر. وقتل

عبد الواحد زعيم الخوارج وأتي برأسه لحنظلة. فكانت الغزوة التي أوقفت الخوارج بعد انتصارهم في معركة بقدورة وقضت على شوكتهم في أفريقية.

CONFIDENTIAL

# الفصل الثاني

# الخِلافة الأُمويَّة

## (خِلافة قُرطُبة)

**(138هـ - 422هـ / 756م - 1031م )**

CONFIDENTIAL

## أ. إمارة قُرطُبة ( 138هـ - 300هـ / 756م-912م)

في جمادى الآخرة 132هـ / يناير 750م، انهارت الدولة الأُمويَّة بعد أن انهزم آخرُ الخُلفاء الأُمويين مروان بن مُحمَّد (كان والياً على إقليم أرمينيا وأذربيجان, ونقم على يزيد بن الوليد- يزيد الثالث- الذى تولى الحكم بعد قيامه بانقلاب على ابن عمه الأرعن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي تعتبر خلافتة بداية النهاية للدولة الأموية وجاء مقتله في 126 هـ علي أيدي أبناء عمومته دليلا علي حالة الانهيار) في **معركة الزَّاب** ، شمال العراق-عام 132 هـ-750 م، أمام العبَّاسيين بقيادة أبو العباس السفاح، ودخل هؤلاء إلى دمشق للقضاء على من تبقّى من أُمراء بني أُميَّة. لكنَّ أحد هؤلاء الأُمراء، وهو **عبدُ الرحمٰن بن مُعاوية**، نجا من المذبحة المُروّعة والتصفية العرقية التي قام بها العباسيون ويمَّم وجهه صوب المغرب، مروراً بمصر و ولاية أفريقية . كان عبدُ الرحمٰن يُخططُ لِإنشاء دولةٍ للأُمويين في ولاية أفريقية نظرًا لِكثرة من هرب إليها من بني أُميَّة، لكنَّ واليها الأساسي عبدُ الرحمٰن بن حبيب الفهري كان قد خطط للاستقلال بها أيضًا، وتشدَّد في مُعاملة الأُمويين وضيَّق الخناق عليهم وصادر أموالهم وقتل بعضهم، فآثر عبدُ الرحمٰن بن مُعاوية (عُرف باسم «عبدُ الرحمٰن الدَّاخل»، كونه «دخل» أي هاجر إلى الأندلُس) مُغادرة الولاية وتوجَّه بطُموحه إلى ولاية الأندلُس التي وجد فيها الفُرصة الأكثر منالًا من المغرب وأفريقية ليكوّن الخلافة الأموية الثانية.

عبدُ الرحمٰن بن مُعاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (113 - 172 هـ / 731 - 788م) معروف بلقب **صقر قريش** و عبدُ الرحمٰن **الداخل**، ومعروف أيضًا في المصادر الأجنبية بلقب عبدُ الرحمٰن **الأول**. أسس عبد الرحمن الدولة الأموية في الأندلس عام 138 هـ، بعد أن فر من الشام إلى الأندلس في رحلة طويلة استمرت ست سنوات، إثر سقوط الدولة الأموية في دمشق عام 132 هـ، وتتبع العباسيين لأمراء بني أمية وتقتيلهم. دخل الأندلس وهي تتأجج بالنزاعات القبلية والتمردات على الولاة وكانت تتعرَّض لِهجمات جيرانها المسيحيين في الشمال، وكان من العسير على الأندلُسيين الاتفاق على زعيمٍ يلتف الجميع حوله وشرع عبدُ الرحمٰن

يعمل على استغلال الموقف لِمصلحته، فأرسل مولاهُ "بدر"( رومي الاصل، يكنى أبا النصر، لازم مولاه في أعقاب نكبة بني امية في المشرق-ثم صاروزيره واميراً للجيش وتزوج من مصرية) إلى الأندلُس ليُعبّئ أنصارهُ فيها، مُشيدًا بِصفات عبد الرحمٰن ومُؤهلاته كحفيدٍ لِهشام بن عبد الملك، ومقدرته على ردّ الأمر لِجماعة الأُمويين إذا ما أُتيحت لهُ فُرص المُساعدة.وافقت دعوة عبد الرحمٰن رغبة اليمانيَّة المدفوعين بالرغبة في الثأر لهزيمتهم أمام الفهريَّة والقيسيَّة في Batalla de Secunda **موقعة شقندة** (بالأندلس عام 130هـ- 747 بين يوسف الفهري وحلفائة القيسية بقيادة الصميل بن حاتم بن ذي الجوشن، واليمانية بقيادة أبو الخطار الكلبي وانتهت بانتصار القيسية على اليمانية ومقتل الكلبي)، فاحتشدوا لِنُصرة عبد الرحمٰن.

ثم أرسل زُعماء الموالي (خدم وحلفاء بني أمية) مركبًا تعبر بعبد الرحمٰن بن مُعاوية إلى الأندلُس، فوصل في ربيع الآخر سنة 138هـ المُوافق لِشهر أيلول (سبتمبر) 755م. أحدث دُخول عبد الرحمٰن إلى الأندلُس ردَّ فعلٍ إيجابيّ من جانب أنصاره من الموالي ومن اليمنيين وغيرهم ، فتوافدوا عليه للسَّلام والبيعة.وبلغت الأحداث مسامع يُوسُف الفهري، آخر وُلاة الأندلُس، فحاول بدايةً التفاوض مع الأمير الأُموي بعد أن رأى كثرة أنصاره واتساع شعبيَّته، ففشل، وكان لا بُد من الصِّدام العسكري لِتقرير مصير الأندلُس، وفي ضُحى يوم 9 ذي الحجَّة 138هـ المُوافق فيه 11 أيَّار (مايو) 756م، دارت معركةٌ حاسمة بين الطرفين (**معركة المُصَارَة** أو **المُسَارَة** - قرب قرطبة) انتهت بنصر عبد الرحمٰن، الذي استثمر انتصاره بأن تقدَّم نحو قُرطُبة ودخلها، وتربَّع على العرش في قصر الإمارة، وبايعه الناس البيعة العامَّة، ثُمَّ أدّى صلاة الجُمُعة في المسجد الجامع، وخطب بالنَّاس مُعلنًا قيام الإمارة الأُمويَّة، ومُوضحًا سياسته القائمة على العدل والإحسان. واستطاع أن يخمد الحرب الأهلية بين القبائل العربية في اسبانيا، وأن يتصدى للمسيحيين شمالا والعباسيين جنوبا .قضى عبد الرحمن في فترة حكمه، التي استمرت 33 عامًا، في إخماد الثورات المتكررة على حكمه في شتى أرجاء الأندلس، في عهدٍ جديدٍ قائمٍ على أُسسٍ سياسيَّة بعيدةٍ عن العُنصُريَّة والقبليَّة من واقع تحجيم نُفوذ زُعماء القبائل وإحلال سُلطة الدولة مُمثلة بالأمير، محل سُلطة القبائل. ويبدو أنه استطاع أن يوجّه

التدافع الاجتماعي نحو وجهة دينية مذهبية استطاع بها أن يوحد بين كل الأندلسيين، حيث عمل على أن يكون المذهب المالكي هو المذهب المسيطر على الأندلس وعمل على تقوية مكانة رجال الدين في المجتمع ليتمكن من خلالهم من السيطرة على الدولة، وبدأت الأندلُس تسير في طريق اكتساب الحضارة تاركًا لخلفائه إمارة استمرت لنحو ثلاثة قرون. وأضحى الأندلُس (بعد عشرة أشهر) بلدًا إسلاميًا مُستقلًا عن الخِلافة العبَّاسيَّة (تحت قيادة أبي جعفر المنصور) في المشرق بعد أن كان خاضعًا لِمركز الخِلافة في العهد الأُموي.

## سقوط برشلونة

ساهمت الطبقية والعنصرية في تأجيج التطرف الديني والفتنة والعنف المتبادل بين أفراد المجتمع. وشهد هذا العهد **ثورة البربر** بِقيادة شقنة (شقنا) بن عبد الواحد المكناسي (أوسفين الفاطميّ الذي اعتنق المذهب الشيعي ونظم حركة سياسيَّة دينيَّة) وواجه دولة عبدُ الرحمٰن الدَّاخل بإيديولوجية فكرية وأساليب سياسية غرضها استقطاب الناس ليخوضوا حرب وكالة على الدولة الاموية،و لم تحدث ولا مواجهة عسكرية واحدة مباشرة بين الداخل والدعي شقنة. فتنة شقنة كانت فتنة عظيمة هزت الاركان السياسية والثقافية لنموذج الدولة الاموية التي اصطبغت بشرعيات النسب والتاريخ والدين وحكمت بها .امتدَّت الثورة(الفتنة) ثماني سنوات (152-160هـ \ 769-777م) ولم تنتهي الفتنة الا بان قتل شقنة على يد احد حجابه بعد ان طلقه زوجته ليتزوجها, و صارت عرب الاندلس تقول مثلا صار عبرة في تشخيص الازمات " فتنة شقنة اشد من فتنة السيوف". واستغل المسيحيون ذلك ليستعيدوا ثغر "برشلونة" الاستراتيجي، فشهد هذا العهد مُحاولة الفرنجة بقيادة الإمبراطور شارلمان غزو الأندلُس بعد أن اتفق مع سُليمان الأعرابي حاكم برشلونة ومعه الحُسين بن يحيى الأنصاري زعيم سرقسطة اللذين ثارا على السُلطة المركزيَّة، لكنَّ المُحاولة فشلت، وأُخذ الأعرابي أسيرًا إلى بلاد الفرنجة عقابًا له على فشل الحملة، إلا إن ولديه عيشون ومطروح أعدوا مع البشكنس(الباسكيون) كمينًا لمؤخرة جيش شارلمان المنسحب (**معركة باب الشرزي**) وتمكنوا من تحرير الأعرابي، لكنَّ الأنصاري ترصد للأعرابي وقتله بعد فترة قصيرة. عاود الفرنجة هُجومهم على



CONFIDENTIAL

الأندلُس بعد بضع سنوات، وفي هذه المرَّة (801) تمكنوا من السيطرة على برشلونة، فكانت تلك ضربةً قاسية للمُسلمين، بحيث فقدوا شطرًا هامًا من ثُغورهم القريبة من جبال البِرينيه، وفشلت جميع مُحاولاتهم في استعادتها. بالمُقابل نجح الفرنجة في فرض سيطرتهم على الأراضي الإسلاميَّة المُمتدَّة على طول الحافَّة الجنوبيَّة من تلك الجبال، وأصبحت "برشلونة" من أوائل المدائن المسلمة التي عادت نهائيا إلى المسيحيين. واتخذ الفرنجة المدينة قاعدة انطلاق للاستيلاء على المُدن المُجاورة.وفي سنة 229هـ المُوافقة لِسنة 844م، حاول النورمان غزو الأندلُس عبر مدينة أشبونة الواقعة على السَّاحل الغربي، فصدَّهم والي المدينة، لكنَّ غاراتهم استمرَّت طيلة شهرين من الزمن وكادت أن تتعرَّض فيها سلامة البلاد لِخطرٍ مُحقَّق لولا يقظة الأمير عبدُ الرحمٰن الأوسط وقادته وحُسن استعدادهم العسكري، فهُزم جيش بقيادة نصر الخصي النورمان شرَّ هزيمة غرب الأندلس في عام 230 هـ، واضطرَّ ملكهم إلى طلب الصُلح، وأُبرم تفاهمٌ بينهم وبين المُسلمين.




إمارة قُرطُبة

CONFIDENTIAL

## ب. خِلافة قُرطُبة (300هـ 422هـ/ 912م-1031م)

بويع الأمير عبدُ الرحمٰن بن مُحمَّد (عبد الرحمٰن النَّاصر) بالإمارة يوم الخميس في 1 ربيع الأوَّل 300هـ / 16 أكتوبر 912م، واضطلع مُنذُ اليوم الأوَّل الذي تولّى فيه الحُكم بإصلاح أحوال الأندلُس بعد أن تكاثرت فيها الثورات وتجمَّع حولها الأعداء، فأعلن من خِلال منشور عام التأكيد على التسامُح وإسقاط كافَّة الجرائم التي اقتُرفت بِحق الدولة في حال أعلن الثائرون الولاء للسُلطة المركزيَّة في قُرطُبة، كما توعَّد وأنذر باجتثاث معاقل الثائرين والعابثين بأمن البلاد والمُتحالفين مع القوى الأجنبيَّة ضدَّ الدولة. ونجحت العمليَّات العسكريَّة في تطويع الأقاليم والحُصون الثائرة بِقيادة بني حفصون، كما تمكَّنت من استرداد بطليوس وببشتر وطُليطلة ومناطق أخرى في الثغر الأعلى, وأنهي تمرد إشبيلية على سلطة الإمارة. اتخذ عبدُ الرحمٰن أخطر قرار سياسيَ لهُ، لم يتجرَّأ أسلافه على اتخاذه، وهو تلقيب نفسه بِلقبين ساميين:لقبُ الخليفة، ولقب أميرُ المُؤمنين،أضافة إلى اللقب الشرفي: «النَّاصر لِدين الله»،واستمرَّ هذا اللقب في عهده وعهد خُلفائه من بعده حتَّى انقرضت دولة الأُمويين سنة 422هـ المُوافقة لِسنة 1031م. ومن الأسباب الواقعيَّة التي دفعت النَّاصر إلى إعلان الخِلافة ضُعف الدولة العبَّاسيَّة وانحدار سُمعتها إلى الحضيض، بحيثُ تحوَّلت إلى مطيَّة لِأطماع القادة التُرك المُهيمنين على مصائر الخُلفاء، وكذلك كان الإمام عُبيد الله المهدي الفاطمي قد بُويع بالإمامة في أفريقية وتلَّقب بأمير المُؤمنين في سنة 297هـ المُوافقة لِسنة 910م، لِيُنافس عدُوَّه الرئيسي خليفة بغداد، وهو ما مثَّل تهديدًا عسكريًا ودينيًا للأُمويين بصفةٍ خاصَّة والأندلُس بصفةٍ عامَّة.

وفي سبيل مُواجهة هذا الخطر حصّن النَّاصر الموانئ الجنوبيَّة للأندلُس، وضمَّ موانئ المغرب المُواجهة للأندلُس في مليلة وسبتة وطنجة، إضافة إلى دعم البربر المُعادين للفاطميين في المغرب ماديًا وعسكريًا، وفي الوقت نفسه، استطاع عبد الرحمٰن النَّاصر التصدي لأطماع الممالك المسيحيَّة في الشمال. وصلت الأندلُس إلى حالةٍ كبيرة من الاستقرار والأمن بعد السيطرة على التمرُّدات الداخليَّة،كما تحسَّنت

أحوال البلاد الزراعيَّة والصناعيَّة, و غدت قرطبة في عهد الناصر واحدة من أعظم مدن العالم، بل ونافست بغداد بهائها وعظمتها وفخامتها. يعد تأسيس مدينة الزهراء أعظم أعماله وفي الزهراء أيضًا، شيد الناصر مسجدًا جامعًا في (48) ثمان وأربعين يومًا فقط. وفي هذا العهد خطا المُسلمون في پروڤانس خُطوةٌ أُخرى في سبيل التوغُّل في عُمق أوروپَّا ووصلوا في توغُلهم إلى بُحيرة جنيڤ.

عرفت دولة الخِلافة الأندلُسيَّة أوجها الثقافي في عهد الحكم "المُستنصر بالله" الذي واصل سياسات أبيه عبد الرحمٰن النَّاصر، فكان عهده عهد ثقافة وعُمران. إلَّا أنَّهُ أخطأ - فكانت كبوة الجواد- حين اختار ابنه الوحيد الطفل هشام بن الحكم المُؤيَّد بالله لِولاية عهده، فاستغل بعض رجال الدولة -كالحاجب جعفر بن عُثمان المصحفي وصاحب الشُرطة مُحمَّد بن أبي عامر (وكان يمانيًا)- صغر سنِّه وعدم قُدرته على الحُكم في سنِّه الصغيرة، وفرضوا على الخلافة وصاية أُم الخليفة صُبح البشكنجيَّة (من إقليم الباسك،كانت مغنية وجارية للخليفة الحكم وأُم ابنه، ثم قيل صاحبت بن أبي عامر فيما بعد) ،مجلس الوصاية، واستأثروا هُم بكُل السُلطات. ثُمَّ انفرد مُحمَّد بن أبي عامر بكُل السُّلطات بعد أن تخلَّص من كُل شُركائه في الحُكم الواحد تلو الآخر،وحجر على الخليفة الطفل، لتبقى بذلك السُلطة الإسميَّة فقط للخليفة، والحُكم الفعلي لابن أبي عامر الذي تلقَّب بعد ذلك «بالحاجب المنصور».




الأندلس حوالي سنة 910م-297هـ.

CONFIDENTIAL

# الدولة العامرية (366هـ 399هـ /976م-1031م)

استطاع الحاجب المنصور(صاحب الشُرطة) أن يؤسس دولة داخل الدولة حتى أن بعض المؤرخين سمَّاها «الدولة العامريَّة». كان بن أبي عامر يمانيًا، واليمنيون في الأندلس ليسوا بكثرة، ولخشيته من الاستعانه بالقبائل المضرية وقبائل بني أمية، فكّر أن يستعين بعنصر آخر وهم البربر، فبدأ يعظّم من أمرهم ويرفع من شأنهم؛ حتى يضمن ولاءهم، ذلك العمل خطير أدى - فيما بعد- إلى انقساماتٍ كثيرة في بلاد الأندلس. تميزت تلك الفترة بوجود تطور اجتماعي جديد بسيطرة البربر على المناصب القياديَّة في الجيش وكثرة عددهم واختفاء القيادة العربيَّة من الجيوش. تميزت هذه الفترة أيضاً بكثرة الفتن والصراعات، بين البربر والعامريين، لتصل إلى الدرجة التي تجعل البعض يستعين بالنصارى .

بعد أن تخلّص ابن أبي عامر من جعفر المصحفي (حاجب الخليفتين الحكم المستنصر بالله وابنه هشام المؤيد بالله، وشيخ الموالي، قيل مات مسمومًا أو مخنوقًا في محبسه عام 372 هـ وأسلم إلى أهله وهو في أقبح صورة)، جعل همّه التخلّص من صهره غالب الناصري صاحب مدينة سالم لينفرد وحده بالسلطة. أدرك غالب ما يضمره صهره، فداهنه ودعاه وهو عائد من إحدى حملاته على مملكة قشتالة إلى وليمة في أنتيسة إحدى مدن الثغر الأدنى، ودبّر له مكيده كادت تودي بحياة ابن أبي عامر، إلا أنه نجا بعد أن أصيب إصابة في رأسه. عاد بعدها ابن أبي عامر إلى قرطبة وهو ينوي التجهيز لقتال غالب ثم اقتتلت قوات محمد بن أبي عامر و غالب الناصري، الذي استعان بقوات راميرو الثالث ملك ليون، في **معركة شنت بجنت** التي كادت أن تنتهي بانتصار قوات غالب، لولا سقوطه صريعًا من على جواده في 4 محرم 371 هـ/9 أغسطس 981 م، وحُملت رأسه لابن أبي عامر. بعدها تمكن محمد بن أبي عامر من كل السلطات.

أقام محمد بن أبي عامر بإنشاء مدينة جديدة في شرق قرطبة سمّاها مدينة الزاهرة أو مدينة العامرية. كان الحاجب المنصور رجلًا قويًا، محكِمًا للأمن والأمان في البلاد [كان صاحب الشُرطة]، ورغم طول فترة حكمه التي امتدت من 366 هـ-



CONFIDENTIAL

976 م وحتى 392 هـ- 1002م لم تقم أي ثورة أو تمرّد في عهده. في ذي الحجة 374 هـ، غزا المنصور برشلونة وهزم بورل الثاني كونت برشلونة، ودخل المدينة عنوة في 15 صفر 375 هـ بعد أن حاصرها من البر ومن البحر فلم يستطع بورل الثاني مقاومته، واضطر إلى الهرب، ولم تمض أيام حتى سقطت المدينة فدمّرها المنصور وقتل عددًا كبيرًا من الناس. و جاء عن الحاجب المنصور في سيرة حروبه أنه سيّر جيشا كاملًا لإنقاذ ثلاث من نساء المسلمين كن أسيرات لدى مملكة نافار، وكان بينه وبينها عهد وكانوا يدفعون له الجزية. استمرَّت سيطرة العامريين على الحُكم طوال عهد الخليفة هشام المُؤيَّد بالله، حيثُ خلف الحاجب عبد الملك المُظفَّر بالله أباه المنصور سنة 392هـ في كافة سُلطاته ومناصبه، ثُمَّ خلفه بعد وفاته سنة 399هـ أخاه عبدُ الرحمٰن بن المنصور شنجول (رجل فاسق لم يمكث في الحكم إلا لشهور معدودات- أقلّ من عام)، و الذي لم يمض شهر على توليه الحجابة، حتى أجبر الخليفة هشام بن الحكم على إعلانه ولاية العهد لشنجول من بعده، وبذلك لن يصبح الأمر من خلف ستار الخلافة الأموية كما كان العهد حال تولي والده محمد بن أبي عامر أو أخيه الحاجب عبد الملك.

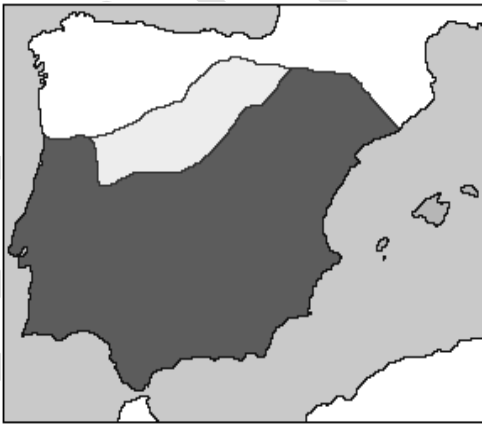
أثار ذلك حنق الأُمويين في الأندلُس بعد أن رأوا في ذلك اغتصابٌ لِحقِّهم في حُكم البلاد، واستطاع أحد أُمرائهم ويُدعى مُحمَّد بن هشام (من أحفاد عَبْد الرَّحْمَن النَّاصِر)أن يُدير انقلابًا في جمادى الأولى سنة 399هـ على حكم المُؤيّد وشنجول (عبد الرحمن بن المنصور العامري)، ويطيح بهما من سُدَّة الحُكم، ويعُلن نفسه الخليفة الجديد.

وانتهى بذلك ما يسمى في تاريخ الأندلس بعهد الدولة العامرية وبمقتل عبد الرحمن بن المنصور العامري انفرط العقد تمامًا في البلاد، وبدأت الثورات تكثر والمكائد تتوالى، وبدأت البلاد تُقسّم. حرص مُحمَّد بن هشام (تلقب بالمهدي) على التنكيل بالعامريين والبربر الذين كانوا عماد جيش الحاجب المنصور، مما دعا الفتيان العامريين إلى الفرار إلى شرق الأندلُس، وتأسيس إمارة في تلك الأرجاء، بينما التف البربر فى الشمال حول أميرٍ أُمويّ آخر يُدعى سُليمان بن الحكم (أخو هشام بن الحكم بن عَبْد الرَّحْمَن النَّاصِر) الذي ثار على الخليفة، و استعان بملك قشتالة مقابل



CONFIDENTIAL

إعطائه كل الحصون الشمالية التي كانت للمسلمين في بلاد الأندلس, ونجح في اقتلاع المهدي من منصبه وإعلان نفسه خليفة في ربيع الأول سنة 400هـ- 1010 م، لِتدخل الأندلس فترة من القلاقل تصارع فيها الأمويين والبربر والحموديين على السُلطة. و كانت بالطبع فرصة من السماء لملك قشتالة لضرب الأندلسيين بعضهم ببعض ووضع قاعدة لجيشه وجنده في أرض الأندلس، تلك البلاد التي لطالما دفعت الجزية كثيرًا للمسلمين من قبل.وقد استمرت الفتنة حتى سنة 422هـ حيثُ سقطت الخِلافة في الأندلس نهائيًا، وتفتت الدولة إلى دُويلاتٍ صغيرة عُرفت تاريخيًا بِدُول الطوائف.



الأندلُس (باللون الأسود) 390هـ- 1000م

CONFIDENTIAL

# الفصل الثالث

# عهد مُلوك الطوائف

## الفترة الأولى

## (422هـ 478هـ /976م-1085م.)

CONFIDENTIAL

يُعدُّ عهد مُلوك الطوائف فترة تاريخية في الأندلس بدأت بحدود عام 422 هـ لما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية في الأندلس، مما حدا بكل أمير من أمراء الأندلس ببناء دويلة منفصلة، وتأسيس أسرة حاكمة من أهله وذويه; و هي من أكثر عُهود التاريخ الأندلُسي تعقيدًا وتشابُكًا واضطرابًا. ففي عهد الطوائف انفرط عقدُ البلاد وتقاسمتهُ نحو ستةٍ وعشرين دولة (أو 22 دويلة) ، منهم غرناطة وأشبيلية والمرية وبلنسية وطليطلة، تتفاوت فيما بينها في الحجم والقُوَّة والضعف، حتَّى كان لِكُل مدينة تقريبًا حاكمها المُستقل مُتخذًا لقب الملك أو الأمير أو الوالي أو القاضي، تبعًا لِحجم المنطقة أو المدينة التي يحكُمها.

وقد أدَّت الحُروب المُتصلة بين مُلوك الطوائف الأندلُسيَّة إلى تحوُّلاتٍ مُستمرَّة في مسار دويلاتها التاريخيّ، يتراوح بين النُشوء والسُقوط وعدم ثبات الحُدود. هذه التجمُّعات الأُسريَّة لم تسترشد بِسياسةٍ إسلاميَّة (كالتعايش السلمي) سواء في علاقاتها بعضها ببعض أو في علاقاتها بِشُعوبها،ولم تكن دُول الطوائف دُولًا بالمعنى المعروف بل إنها كانت أقرب إلى وحدات الإقطاع وإلى عصبيَّة الأُسرة القويَّة، ومن ثُمَّ لم تكن بها حُكوماتٍ مُنظَّمة بالمعنى الصحيح. ويُقسِّم بعض المُؤرخين أُسر الطوائف، من الناحية الاجتماعيَّة، إلى أربع فئات:**الأرُستقراطيَّة العربيَّة** وأشهر أُسرها بنو عبَّاد اللخميّون وبنو تجيب اليمنيّون وبنو هود الأدارسة؛ **موالي بني أُميَّة** الذين كانت أُسرُهم عماد الدولة في عهد الأُسرة الأُمويَّة وشتَّت الحاجب المنصور العامري أكثر هؤلاء ولم يبقى منهم إلَّا بنو جهور؛ **بقايا أُسرة الحاجب المنصور**؛ و**البربر**. كان البربر ينتظمون في ثلاث مجموعات: **البربر المُستعربون** ومنهم بنو الأفطس؛ **البربر حديثي الوفود** ومنهم بنو زيري الصنهاجيين؛ **العرب المُتبربرين** ومنهم بنو حمّود الأدارسة الحُسينيين. وقد تكوَّنت، بعد معارك دامية بين الأُسر الطوائفيَّة، سبع دُولٍ رئيسيَّة غلبت على جميع الدُويلات الأُخرى أو تحالفت معها، وهي: **دولة بنو جهور** في قُرطُبة؛ **دولة بنو عبَّاد** [أهل الأندلس الأصليين الذين كان يطلق عليهم اسم المولدين]في إشبيلية؛ **دولة بنو ذو النون**(من البربر) في طُليطلة؛ **دولة بنو زيري** (من البربر) في غرناطة ومالقة؛ **دولة بنو هود** (الأدارسة)في منطقة سرقسطة؛ **دولة بنو الأفطس** في بطليوس؛ **دولة بنو عامر**(اليمانية) في بلنسية ومرسية, وكانوا أضعفهم. وصل الأمر إلى أن ملوك

الطوائف كانوا يدفعون الجزية للملك ألفونسو السادس، وكانوا يستعينون به على أخوانهم ;ومن الأمثلة على استهتار عدد من مُلوك الطوائف نحو أُمَّتهم ودينهم ما فعله مُحمَّد المُعتمد بن عبَّاد صاحب إشبيلية عندما تعاهد مع ملك قشتالة على غزو أراضي مملكة طُليطلة الجنوبيَّة , وما فعلهُ يحيى القادر بن إسماعيل عندما تنازل لِألفونسو السادس(ملك قشتالة) عن بعض الحُصون الحُدوديَّة، مُجرّدًا طُليطلة من حُصونها الأماميَّة، مُقابل أن يدعمهُ الأخير ضدَّ جيرانه من مُلوك الطوائف.

## **سقوط طليطلة (توليدو)-** (سنة 478 هـ- 1085م)

كان إيواء المأمون يحيى بن ذي النون و طليطلة لألفونسو السادس – أيام هربه من أخوه سانشو ملك قشتالة – نقمة وسبباً لسقوطها، إذ تذكر بعض الروايات: أن ألفونسو استمع ذات يوم وهو متظاهر بالنوم إلى حديث المأمون – الذي أعطاه ما أعطاه – مع وزرائه في كيفية الدفاع عن طليطلة واحتمال مهاجمة النصارى لها. عاش ألفونسو في طليطلة 9 أشهر إلى أن قُتل سانشو، ومهدت له أخته أوراكا اعتلاء العرش. بعدها عاد ألفونسو السَّادس وعاث فساداً في ممتلكات طليطلة سبع سنوات كاملات .غير أنَّ ألفونسو السَّادس كان يطمح للاستيلاء على طُليطلة نفسها، فضرب عليها الحصار مُدَّة ثلاث سنوات (شوَّال 474هـ - مُحرَّم 478هـ \ آذار (مارس) 1082م –مايو1085م) انتهت باستسلام يحيى القادر(آخر حكام بني ذي النون وآخر أمير مسلمٍ يحكم مدينة طليطلة في الأندلس) وتسليمه المدينة للقشتاليين, ومنذ سقوطها في ذلك التاريخ لم تُعد للمسلمين حتى الآن. و أعطى ألفونسو الأمان لأهلها بضمان حرياتهم واحترام شعائر دينهم وحقوقهم، وأنى يفي بالعهود صليبي متعصب؟ فقد ارتكب بعد شهرين فقط بحق أهل طليطلة الأفاعيل، وحولت المساجد ومن بينها الجامع الكبير إلى كنائس. ولم يلبث ألفونسو السادس إلَّا قليلًا حتَّى أغار على نواحي طُليطلة واستولى على جميع أعمالها.

كان لِسُقوط طُليطلة أثرٌ عظيمٌ في مسار الحُروب اللاتينيَّة الأندلُسيَّة، وفي إلهاب حماس القوى المسيحيَّة، فقد كانت المدينة في الماضي عاصمةً لِمملكة القوط، وكانت السيطرة عليها نذيرٌ بإحياء مُلك القُوط القديم، والعمل على طرد المُسلمين

نهائيًا من الأندلُس. "طُلَيْطِلَة"المدينة العظيمة الحصينة التي تحوطها الجبال من كل النواحي عدا الناحية الجنوبية والثغر الذي كان يستقبل فيه عبد الرحمن الناصر الجزية من بلاد النصارى، ومنه كان ينطلق هو ومن تبعه من الحكام الأتقياء لفتح بلادهم في الشمال. وقد نظمت أشعار كثيرة لما سقطت طليطلة، تبين الواقع المؤلم، وتلقي اللوم على تقصير ملوك الطوائف ومسؤوليتهم بسبب السياسات المنحرفة التي يمارسونها، فقد أورد المقري قصيدة طويلة لشاعر:

لثكلك كيف تبتسم الثغور؟ سروراً بعدما سُبيتْ ثغورُ
لقد قُصمتْ ظهور حين قالوا أميرُ الكافرينَ له ظهورُ
طليطلة أباح الكفر منها حِماها إنّ ذا نبأ كبيرُ
مساجدها كنائس، أيُّ قلب على هذا يَقَرَّ ولا يطيرُ

وابن عسّال أحد الشعراء :

شُدُّوا رَوَاحِلَكُمْ يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ فَمَا الْمَقَامُ فِيهَا إِلَّا مِنَ الْغَلَطِ
الثَّوْبُ يَنْسَلُّ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى ثَوْبَ الْجَزِيرَةِ مَنْسُولًا مِنَ الْوَسَطِ
مَنْ جَاوَرَ الشَّرَّ لَا يَأْمَنْ بَوَائِقَهُ كَيْفَ الْحَيَاةُ مَعَ الْحَيَّاتِ فِي سَفَطِ

نتيجة التمزّق السياسي وتفرّق كلمة المُسلمين بالأندلس وانقضاض اللاتين الإفرنج على البلاد ونهشها القلعة تلو الأُخرى، إلتمس الأندلُسيين المُساعدة من دولة المُرابطين بالمغرب الأقصى(لأنَّهم أصلح من الهلاليين في إفريقية،وأقرب منهم إلى الأندلُس)، خُصوصًا بعد أن أمعن ألفونسو السادس في إذلال مُلوك الطوائف المُجاورين لِبلاده وفي تطاوله على الإسلام.




دُويلات الطوائف الأندلُسيَّة نحو سنة 1080م/ 472 هـ.



CONFIDENTIAL

# الفصل الرابع

# دولة المُرابطين

## ( العهد المُرابطي)

**(479هـ 541هـ/1086م-1145م)**

CONFIDENTIAL

طلب من أمير المُرابطين (يُنسب المرابطون إلى قبيلة جدالة بموريتانيا، وكان المجاهدون أو المرابطون يتخذون خيامًا يحمون فيها ثغور المسلمين- شيخهم عبد الله بن ياسين) يُوسُف بن تاشفين الصنهاجي العُبور إلى الأندلُس لِمُساعدة الأندلُسيين, وسلَّموه رسالة مكتوبة من المُعتمد بن عبَّاد(ملك إشبيلية وقرطبة) يُبيّن فيها ما تتعرَّض لهُ المُدن والحُصون من الغارات المُدمِّرة من جانب المملك النصرانيَّة، ويدعوه للعُبور إليه وإغاثة المُسلمين, وتنازل المُعتمد عن مدينة الجزيرة الخضراء كي يتصرف بها الجيش المُرابطي بحُريَّة ويتمكن من عُبور البحر متى شاء، والتحم الجيشان الصليبي والإسلامي في **معركة الزلاقة** يوم 12 رجب 479هـ المُوافق فيه 23 تشرين الأوَّل (أكتوبر) 1086م; التي انتصر فيها المُسلمون نصرًا كبيرًا قورن بِنصرالقادسيَّة واليرموك، ولُقِّب يُوسُف بن تاشفين «أميرُ المُسلمين»، وقام قبل رجوعه إلى المغرب بجمع مُلوك الطوائف ونصحهم بالاتفاق والائتلاف، وأن تكون كلمتهم واحدة.

ما أن رجع يُوسُف بن تاشفين إلى المغرب حتَّى تدهوت الأوضاع مُجددًا في الأندلُس، فعادت الخلافات بين مُلوك الطوائف إلى سابق عهدها، وأخذ ألفونسو السادس يفيق من هول الصدمة ويسترد قوَّته، ويعمل على مُواصلة عُدوانه على الأراضي الإسلاميَّة والثأر لما نالهُ من المُرابطين. فاضطرَّ يُوسُف بن تاشفين إلى أن يعود ثانيةً إلى الأندلُس مُجاهدًا في ربيع الأوَّل سنة 481هـ، المُوافق فيه حُزيران (يونيو) 1088م، ودعى مُلوك الطوائف إلى الجهاد معه فلم يستجب له سوى المُعتمد بن عبَّاد (ملك إشبيلية وقرطبة) و تميم وعبد الله ابنا بلقين بن زيري صاحبا مالقة وغرناطة، وأُمراء آخرون أقل أهميَّة. وعمد مُلوك الطوائف إلى الغدر بابن تاشفين وقُوَّاته عندما قطعوا الإمدادات عن مُعسكراته، كما أبرموا مُعاهدات سريَّة مع ألفونسو السادس وزوَّدوه بالأموال والهدايا كي يكون نصيرهم ضدَّ التدخُّل المُرابطي في بلادهم، فرأى ابن تاشفين أنَّ الحل يكمن في عزل مُلوك الطوائف وتوحيد الأندلُس مع المغرب. في نفس الوقت اشتكى الناس وفُقهاء الأندلُس إلى بن تاشفين وأجازوا له خلع مُلوك الطوائف وتفكيك دُولهم، بل جاءته فتاوى عُلماء المشرق كالإمام أبي حامد الغزالي(صاحب "إحياء علوم الدين") والعالم المصري أبو بكر الطرطوشي (المُقيم بالإسكندريَّة آنذاك) تؤيِّد هذا الرأي. بناءً على فتاوى

العُلماء ومطالب الشعب، عبر المُرابطون إلى الأندلُس وهاجموا طُليطلة أولًا حيثُ قطعوا الطريق على ألفونسو السادس وجُيوشه كي لا يمُد مُلوك الطوائف بالمُساعدة، ثُمَّ شرعوا يضمّون المدينة تلو المدينة ، فخُلع صاحب غرناطة عبد الله بن بلقين أولًا، وضُمَّت مدينته إلى الدولة المُرابطيَّة، ثُمَّ استسلم أخوه تميم صاحب مالقة، وضُمَّت جيان والمنكَّب، فسقطت بذلك دولة بني زيري. ثُمَّ ضُمَّت قُرطُبة وإشبيلية، وحاول المُعتمد بن عبَّاد الاستنجاد بألفونسو السادس، فأرسل إليه الأخير قوَّة عسكريَّة، لكنَّ المُرابطين هزموها وشتتوها وقطعوا الاتصال بين الملك القشتالي والمُعتمد، وهكذا سقطت دولة بني عبَّاد، ثُمَّ ضُمَّت ألمرية ليُسيطر المُرابطون بذلك على القسم الجنوبي من الأندلُس. وما كاد بن تاشفين ينتهي من تحقيق إنتصاراته حتَّى تهيَّأ للنضال في شرق الأندلُس التي بدت وكأنها على وشك السُقوط في أيدي الممالك المسيحيَّة المُجاورة، فسيَّر ابنه مُحمَّدًا بن عائشة على رأس جيشٍ كبير إلى مرسية، فخلع صاحبها وضمَّها، ثُمَّ دخل وابرة ودانية وشاطبة, ثُمَّ ضُمَّت بلنسية وتلتها بطليوس. وبذلك توحَّدت الأندلُس لِتتحوَّل إلى ولايةٍ تابعة للدولة المُرابطيَّة، ولم يبقَ خارج نطاق هذه الوحدة سوى إمارة سرقسطة، وذلك بفعل وضعها الحُدوديّ الخاص.

توفي يُوسُف بن تاشفين في 1 مُحرَّم 500هـ / 2 سبتمبر (أيلول) 1106م، وخلفه ابنه علي، الذي تابع سياسة أبيه في حرب النصارى. واستغلَّ المُرابطون فُرصة تفجَّرالخلافات بين الزوجين- أوراكة ابنة الملك القشتالي وزوجها ألفونسو الأراگوني- بسبب مُمارسة السُلطة وتطوَّرت إلى حد الحرب الأهليَّة بين اللاتين، فهاجموا طُليطلة، لكنَّهم فشلوا في اقتحامها بفعل متانة أسوارها وقُوَّة حاميتها. وعوض ذلك فتحوا مدينة مجريط (مدريد) ، وفي ذات الوقت سار جيشٌ مُرابطيٌ آخر إلى البرتغال حليفة قشتالة لِقطع طريق الإمدادات بينهما، ففتحت بعض المُدن في غربي الأندلُس، مثل بطليوس ويابرة وأشبونة وشنترين وغيرها.

في سنة 503هـ المُوافقة لِسنة 1110م سيطر المُرابطون على سرقسطة بناءً على فتوى شرعيَّة بعدم جواز مُهادنة صاحبها- عبد الملك بن المستعين بن هود- كونه تحالف مع المُلوك المسيحيين المُجاورين. وظلت سرقسطة آمنة من سنة 504هـ

حتى سنة 511 هـ، حيث انشغل ألفونسو المحارب وقتها بحرب داخلية مع جيرانه القشتاليين. بعد أن انتهى ألفونسو من حروبه الداخلية أرسل بسفارة إلى بابا روما يطلب منه إعلان حرب صليبية على المسلمين وإرسال قوات فرنجية أغلبها من فرنسا للاشتراك معه في الاستيلاء على سرقسطة. وأرسل علي بن يوسف أخاه الأمير تميم على رأس قوات كبيرة إلى سرقسطة، و تسارعت الأحداث وتوفي واليها القوي عبد الله بن مزدلي بعد مرض سريع، وأصبحت المدينة بلا والٍ، وشدد المسيحيون من حصارهم للمدينة، ثم تردد الأمير تميم وأحجم عن نجدة المدينة لما رآه من ضخامة جيش ألفونسو المحارب، فانسحب تميم إلى بلنسية تاركًا سرقسطة تواجه مصيرها وحدها، وفي رمضان 512 هـ - 18 ديسمبر 1118م، دخل جيش أراغون إلى سرقسطة. في 2 سبتمبر 1125م شن ألفونسو المحارب هجوم داخل العمق الأندلسي، بدأه باكتساح فالنسيا وتخريبها، ثم مرسية حتى وصل إلى الميرية، وخلال هذا الاقتحام المفاجئ انضم إلى صفوفه النصارى المستعربين، وانتقل غربا باتجاه قرطبة و خرب مزارعها، كل هذا مر وجيش تميم يتتبع خطواته دون أن يلتقي الجيشان. وفي يونيو 1126 انسحب جيش ملك أراغون بعد أن تفشى الطاعون في صفوفه وقدوم قوات دعم مرابطية، والتي هزمته في **وادي آش-** Guadix-شمال شرق غرناطة. في تلك السنة صدرت فتوى ابن رشد الجد استخلص فيها حكما للأمير علي بن يوسف بإبعاد النصارى المستعربين المعاهدين بغرناطة إلى المغرب(مكناس وسلا) لغدرهم بالمسلمين ومساندتهم لملك أراغون، فتم ترحيلهم إلى المغرب سنة 528 هـ - 1134م.

كثُرت المنكرات في بلاد المرابطين، كالخمور التي تفشَّت حتى في مراكش و صار الاختلاط شيئًا مألوفًا بين الناس، مع عودة الضرائب. استمر المرابطون في مشروعهم الجهادي بالأندلس، رغم مواجهتهم قيام ثورة المريدين التي قادها ابن قسي في ميرتلة بالبرتغال وثورات أخرى في باجة وغيرها من مدن الأندلس، و خطر الموحدين بالمغرب في نفس الوقت ؛ حيث قام ابن تومرت الموحدي بمنازلة المرابطين في مواقع عديدة على أرض المغرب. ثم حدثت في سنة 532 هـ أزمة اقتصادية حادة في ربوع الدولة المرابطية؛ فوقع فيضان كبير كما فتك الجراد بحقول الأندلس، فاشتدت المجاعة وانتشر الوباء في سنة 526 هـ بأهل قرطبة،

فكثر الموتى و زاد غلاء الأسعار. وكان قد وقع قبل ذلك بسنة 525هـ، حريق ضخم في سوق الكتانين بقرطبة، وحريق ضخم آخر في سوق مدينة فاس سنة 535 هـ ، وحلَّ القحط بالبلاد، فيبست كثير من الأراضي وجفَّ الزرع وهلكت الدواب. وحصلت هجرة ضخمة للبربر نحو الأندلس سنة 535 هـ/ 1140م وصفها ابن عذارى "بالانجلاء العظيم إلى الأندلس"، بسبب انعدام الأمن وغلاء المعيشة والمجاعات وكثرت حصارات الموحدين للمغرب الأقصى. انتشرت دعوة الموحدين في بلاد المغرب وأخذت تحرض القبائل على التمرد مستفيدة من ضعف رقابة المرابطين وانشغال قواتهم في التصدي لهجمات متكررة من النصارى في الأندلس. وظل الموحدون محاصرين لمراكش عدة شهور، وفي 18 شوال سنة 541هـ دخل الموحدون مراكش عاصمة المرابطين وقتلوا أهلها جميعًا في مذبحة مروعة كانت سمة عامة وغالبة في الموحدين، وأول من راح في هذه المذبحة الأمير إبراهيم بن تاشفين وهو فتى في السادسة عشرة من عمره،وكان قد تولى الحكم سنة 539 هـ بعد مصرع أبيه تاشفين.



دولة المُرابطين-512 هـ - 1118م

CONFIDENTIAL

# دولة الطوائف -الفترة الثانية

(539هـ 565هـ / 1144-1170م)

عندما بدأ حكم المرابطين في التراجع نشأت فترة ملوك الطوائف الثانية (1144-1170)، والتي غزاها فيما بعد الموحدون، الذين خلفوا المرابطين في شمال أفريقيا. وبحُلول سنة 551هـ المُوافقة لِسنة 1156م، كان جميع أصحاب وأُمراء المُدن (طريف والجزيرة الخضراء، بطليوس ويابرة وإشبيلية ومالقة، قُرطُبة وغرناطة) قد تنازلوا عنها إلى المُوحدين أو انضوا تحت لوائهم بكامل إرادتهم، أو تمَّ خلعهم.

CONFIDENTIAL

# الفصل الخامس

# العهد المُوحدي

## (516هـ 666هـ /1121م - 1269م)

CONFIDENTIAL

الدولة الموحدية إمبراطورية إسلامية أسسها الموحدون وهم من سلالة أمازيغية حكمت بلاد المغرب (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا) والأندلس سنوات 1121م - 1269م أسسها أتباع حركة محمد بن تومرت، حركة دينية متشددة، وكان يدعو إلى تنقية العقيدة من الشوائب فأطلق عام 1118م الدعوة لمحاربة المرابطين واتخذ من قلعة تنمل على جبال الأطلس الكبير مقرا له. استطاع خليفته عبد المؤمن الكومي (1130م / 1133م - 1163م) أن يستحوذ على المغرب الأقصى والأوسط حيث دخل مراكش عام 1146م (سقطت مُرَّاكش العاصمة المُرابطيَّة في شوَّال 541هـمارس 1147م) وقضى على المرابطين ، ومن ثم أستحوذ على كامل إفريقية (حتى تونس وليبيا عام 1160م) والأندلس (1146م - 1154م). وكانت الأندلُس في تلك الفترة على وشك أن تضيع مُجددًا بعد أن ضعفت الدولة المُرابطيَّة ونتيجة الثورات والحركات الاستقلاليَّة فيها،وبحُلول سنة 551هـ1156م، كان جميع أصحاب وأُمراء المُدن [طريف والجزيرة الخضراء, وبطليوس ويابرة وإشبيلية ومالقة،قُرطُبة وغرناطة] قد تنازلوا عنها إلى المُوحدين أو انضوا تحت لوائهم بكامل إرادتهم، أو تمَّ خلعهم; و تصرَّف المُوحدون كالمُرابطين ومنعوا سيادة الزعامات المحليَّة. وفي سنة 552هـ المُوافقة لِسنة 1157م، تمكَّن المُوحدون من استرجاع ألمرية من القشتاليين بعد حصارٍ دام سبعة أشهر.

بلغت الدولة أوجها في عهد أبو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن بن علي الكومي (1163 - 1184 م) ثم أبو يوسف يعقوب المنصور (1184م - 1199م) والذي تلقب"بالمنصور"وعمل على النهوض الدولة الموحدية والأندلس علميا وثقافيا, مع بناء العديد من المدن الجديدة وتشجيع الثقافة والحياة الفكرية (ابن رشد، ابن طفيل) . وكان المنصور قائدا ماهرا وسياسيا قديرا استطاع عقد الصلح مع مملكة قشتالة. ولكن نقضهم للصلح اضطرته لقتالهم في **معركة الأرك** عام 1195م والتي انتصر فيها الموحدون على الملوك النصرانيين . في عهد الناصر (1199م - 1213م) تم القضاء على العديد من الثورات في إفريقية . وبعد موقعة الأرك عقدت هدنة بين ملك قشتالة ألفونسو الثامن والمسلمين. ولكن الفونسو استغل الهدنة في تقوية بلاده ومحالفة أمراء النصارى. وحين وجد نفسه مستعدا أغار على بلاد جيان وبياسة وأجزاء من مرسية. فاضطر الملك "محمد الناصر" الذي خلف والده المنصور في

إفريقيا إلى الذهاب إلى الأندلس لغزو قشتالة فعبر البحر إلى إشبيلية ومنها اتجه إلى قلعة "شلطبرة"واستولى عليها بعد حصار دام 8 شهور. ولكن الفونسو دعا البابا أنوسنت الثالث بروما إلى اعلان الحرب الصليبية ضد الأندلس; فعقد ملكا قشتالة وليون الصُلح، ثُمَّ بين قشتالة ونبرَّة، وتمَّ تحقيق السلم والتحالف في السنة التالية بين نبرَّة وأراگون، كما تحالفت قشتالة والپرتغال، واتفق الجميع على غزو الأندلُس والتعاون على قتال المُسلمين. وأيَّد وبارك البابا قيام حملة صليبيَّة في أيبيريا فتوافد المُتطوعون وفُرسان الجمعيَّات الدينيَّة من كافَّة أنحاء المُدن الإسپانيَّة والفرنسيَّة بِقيادة رجال الدين، وقد تقلَّدوا شارة الصليب واحتشد في طُليطلة أكثر من مائتيّ ألف مُقاتل. وكان من نتاج ذلك ان الموحدين تلقوا هزيمة قاسية على يد النصرانيين في **معركة حصن العُقاب** سنة 1212م(17يوليو)-15 صفر 609هـ، وانسحبوا عائدين إلى إشبيلية ولم تقم للمسلمين بالأندلس بعد هذه المعركة قائمة. بعد سنة 1213م بدأت الدولة تتهاوى بسرعة مع سقوط الأندلس في أيدي النصرانيين بعد عام 1228م ، وفي إفريقية سقوط (تونس) في أيدي الحفصيين ، والمغرب الأوسط (الجزائر) في أيدي بني عبد الواد - الزيانيون- (1229م - 1236م), ثم فقدوا السيطرة على المغرب الأقصى وانتهى أمرهم سنة 1269م بعد أن قضى عليهم المرينيون نهائياً.

بعد وفاة مُحمَّد الناصر توزَّع الحُكمُ في الأندلُس بين ثلاثة من إخوته، هُم: عبدُ الله في بلنسية ودانية وشاطبة ومرسية، وأبو الحسن في غرناطة، وأبو العلاء إدريس في قُرطُبة. وسُرعان ما دبَّت الخلافات بين هؤلاء، وطمع كُلٌ منهم بأراضي الآخر، فاندلعت الثورات المُتتالية والحُروب المُتقطعة بينهم، فتحالف الأمير عبد الله مع فرناندو الثالث ملك قشتالة ضدَّ خُصومه،ولم يلبث أن خرج أبو العلاء إدريس على حُكم أخيه-عبدُ الله-أثناء غيبة الأخير في المغرب، فخلع طاعته ودعا لِنفسه في إشبيلية، ثُمَّ كتب إلى أشياخ المُوحدين في مُرَّاكش يدعوهم إلى بيعته والفتك بأخيه، فاقتحموا عليه القصر وقتلوه وعقدوا البيعة له. لكن خِلافًا نشب بين الطرفين وسُرعان ما تطوَّر الأمر إلى حربٍ أهليَّةٍ خُلع أبو العلاء بنتيجتها ونُصب ابنُ أخيه فاستشاط أبي العلاء في الأندلُس غضبًا، وعبر البحر إلى المغرب فاستعاد عرشه وألغى بعض النُظم المُوحديَّة; منها إبطال عصمة المهدي ومحو اسمه من الخِطبة ،

فكفَّرهُ الشعب. وأدَّت هذه الحركة إلى انفصال المغرب وأفريقية عن الدولة المُوحديَّة .وخُروج مُعظم مُدن الأندلُس على حُكم المُوحدين. و في الوقت الذي اندلعت فيه الثورات في رُبوع الأندلُس، كانت الممالك المسيحيَّة تسيرُ بِخُطىً ثابتة، وتتطلَّع بأمل إلى انتزاع كافَّة المُدن الأندلُسيَّة من أيدي المُسلمين، مُستغلَّةً انهيار جبهتهم الدفاعيَّة وتراجع قُوَّتهم العسكريَّة. كان الموَحّدون بعد ضعفهم قد خَلّفُوا من ورائهم ثلاث دويلات: دولة بني مَرِين، ودولة بني زَيّان أو بني عبد الوادي وعاصمتهم تِلمْسان (في المغرب الأوسط)، ودولة بني حَفْص أو الحَفْصيّين في تونس (المغرب الأدنى).

## **سقوط قرطبة** (633هـ\1236م)

كانت هزيمة الموحدين سنة 609هـ بالأندلس في **معركة العُقاب** ، إيذانا بانهيار الأندلس. وفي سنة (633هـ\1236م) وبعد حصار طال عدة شهور، وبعد الاستغاثة بابن هود الذي كان قد استقل بدولته جنوب وشرق الأندلس، والذي لم يعر اهتماما لهذه الاستغاثات؛ بسبب كونه منشغلا بحرب ابن الأحمر، ذلك الأخير الذي كان قد استقل -أيضا- بجزء آخر من بلاد الأندلس، في كل هذه الظروف سقطت قرطبة في شوال 633هـ يونيه 1236، وفي يوم سقوط قرطبة تحول مسجدها الجامع الكبير إلى كنيسة، وما زال كنيسة إلى اليوم.



الدولة الموحدية

CONFIDENTIAL

# دُويلات الطوائف - الفترة الثالثة
(1232-1287م)

بعد انتهاء فترة حكم الموحدين، والتي شهدت **معركة العقاب** (1212-TolosaLas Navas De )، كان هناك فترة قصيرة تسمى ملوك الطوائف الثالثة (بلنسية -مرسية- سبتة- دانية- أرخونة لوركا، وبالاضافة لذلك:غرناطة، وإن لم يُعتبَروا طوائف)، والتي انتهت في النصف الأول من القرن الثالث عشر بالغزوات المسيحية لخايمه الأول I-James من أراگون (بلنسية، 1236) لقشتالة وفرديناند الثالث (قرطبة 1236، وإشبيلية 1248)، واستمرت في غرناطة بتأسيس مملكة بني نصر (أو بنو الأحمر) ، التي لم تستسلم حتى الثاني من يناير 1492، تاريخ انتهاء حروب الاسترداد.

CONFIDENTIAL

## سُقوط إشبيلية

كانت إشبيلية ترتبط بمعاهدة أبرمها أبو عمرو بن الجد مع فرناندو الثالث ملك قشتالة، وكانت معاهدة مخزية تتلخص بنودها في أن يعترف ابن الجد بطاعة ملك قشتالة، وأن يؤدي له الجزية، وأن يشهد اجتماعات "الكورتيس" باعتباره واحدًا من أتباع الملك القشتالي.ولم تكن هذه المعاهدة تدفع ضررًا، أو تجلب أمنًا، أو تحقق سلمًا، لكنها كانت فرصة للملك القشتالي كي يرتب أوضاعه ويعد عدته، منتظرًا الفرصة المواتية فينتهزها. و بعد الثورة التي أطاحت بابن الجد ومقتله، أعلن زعماء إشبيلية الجدد بطلان المعاهدة التي عقدها مع النصارى، فغضب فرناندو الثالث واتخذ من ذلك ذريعة للتدخل والانتقام. في جمادى الأولى 645هـ-سبتمبر1247م فرض فرناندو الثالث ملك قشتالة حصارًا شديدًا على إشبيلية من ناحية البر والبحر، فأصبحت معزولة وضيَّق الخناق على أهلها حتَّى استسلموا دون قيدٍ أو شرط، فدخلها في موكب النصر يوم الإثنين في 5 شعبان 646هـ المُوافق فيه 23 تشرين الثاني (نوفمبر) 1248م، وهكذا سقطت إشبيلية حاضرة المُوحدين بالأندلُس، بعد أن حكمها المُسلمون خمسة قُرونٍ وثُلث القرن. وبِسُقوط إشبيلية سقطت جميع المُدن الواقعة على مصب نهر الوادي الكبير في منطقة وادي لكة، وكان ذلك بمثابة التصفية النهائيَّة لِسُلطان المُسلمين في شبه الجزيرة الأيبيريَّة. وخِلال الفترة المُمتدَّة بين سنتيّ614-648هـ & 1217-1250م، كانت جميع مُدن وثُغور غربيّ الأندلُس قد سقطت كُلها في أيدي البرتُغاليين، وبذلك تمَّ القضاء نهائيًا على سُلطان المُسلمين في الأراضي البُرتُغاليَّة.

# الفصل السادس

# المرينيون

## (642هـ 863هـ /1244-1465 م)

## في الأندلس

## (674هـ 741هـ /1276م-1343م)

CONFIDENTIAL

المرينيون ، بنو مرين أو بنو عبد الحق هي سلالة أمازيغية حكمت بلاد المغرب الأقصى من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر ميلادي، وتوسعت حدود دولتهم خارج نطاق المغرب في عهد السلطان أبي سعيد الأول، ويوسف بن يعقوب وخاصة أيام أبي الحسن المريني، الذي ضَمَّ لدولته المغرب الأوسط والأدنى فوحد المغرب الكبير تحت رايته، مسيطرا على بلاد السوس ومعاقل الصحراء جنوبا إلى مصراتة شرقا، ورندة بالأندلس شمالا، ولم يستطع المرينيون بسط سيطرتهم على كامل الأراضي التي كانت تشكل الدولة الموحدية، غير أنهم استطاعوا توحيد المغرب الاقصى والعبور إلى الأندلس للجهاد لوقف زحف ممالك إسبانيا ومكافحة القرصنة المسيحية على سواحل المغرب.

ويرجع ظهورهم لوضعية بلاد المغرب الأقصى بعد كارثة **معركة العُقاب** سنة 609 هـ، حيث ضعف وتفتت كيان السلطة المركزية لدولة الموحدين، هذا بالإضافة لتفشي وباء الطاعون وهلاك الجند، فغاب الأمن في البلاد، فظهر بنو مرين على مسرح الأحداث السياسية واستطاعوا إلحاق الهزيمة بالجيش الموحدي الذي أعده والي فاس لحربهم في أول صدام لهم مع الموحدين، ثم ازدادت قوتهم، فاستطاعوا القضاء على الدولة الموحدية والجلوس في مكانها بعد قضائهم على الموحدين في مراكش سنة 668 هـ/ 1269 م ، واتخذوا من مدينة فاس عاصمة لهم. وأول سلطان لهم هو يعقوب بن عبد الحق.

وتزامنت مساهمة المرينيين مع مرحلة انقلبت فيها موازين القوى بالبحر المتوسط الغربي لصالح المسيحيين منذ **معركة العقاب**،حيث ساهم القشتاليون في إنشاء مملكة غرناطة كدولة تابعة لهم، ولم يعد المغرب الأقصى قادراً على تهديد الممالك المسيحية بالأندلس، بل إنه أصبح مهدداً في عقر داره عندما نجح القشتاليون، ولو لمدة قصيرة، في السيطرة على سلا سنة 658 هـ/ 1260 م. لجأ حكام مملكة غرناطة إلى الاستنجاد بسلاطين المغرب المرينيين بعد اشتداد الضغط الذي فرضته مملكة قشتالة ، وجهز السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق جيشا سنة 673 هـ / 1275م وعبر به البحر، بعد أن اشترط على ملوك غرناطة تنازلهم على جزيرة طريف والجزيرة الخضراء على الساحل الجنوبي لبلاد الأندلس، لتسهيل عبور

المغاربة للأندلس وفي سنة 674 هـ 1276م هزم جيش يعقوب بن عبد الحق القشتاليين قرب مدينة إستجة في موقعة الدونونية، ثم قاموا بحصار وغزو إشبيلية واستولوا على نواحي شريش، وأسس بقرب الجزيرة الخضراء مدينة حصينة؛ سماها «البُنيَّة». حمل المرينيون مهمة الجهاد في الأندلس، وحازوا على مجموعة من المدن الأندلسية، أبرزها الجزيرة الخضراء وطريف وملقة وقمارش ورندة، بعدها تنازل ولده السلطان يوسف بن يعقوب عن الكثير منها مكتفياً بطريف والجزيرة الخضراء.

تميزت دولة بنو مرين عن بقية الدول التي سبقتها في حكم المغرب كونها لم تحكم تحت شعار فكرة دينية كما فعل المرابطون والموحدون، فقد اعتمد بنو مرين على قوتهم العددية وتنظيماتهم القبلية، المكونة من قبائل زناتة، والمتحالفة لاحقا مع القبائل العربية. مما أعطى هامشاً كبيراً للإبداع والتطور الفكري والحضاري، فأطلقت حرية الاعتقاد والتمذهب، فعاد المذهب المالكي إلى الظهور قوياً كما كان أيام المرابطين ، وأعادوا بناء ضريح مولاي إدريس وإحياء الإحتفالات بالمولد النبوي. كان المغرب الأقصى في العصر المريني مالكي المذهب، أشعري العقيدة متخذاً من التصوف السني شعاراً له. كما قرَّبَ المرينيون العنصر اليهودي الفارّ من الأندلس.وعرفت الدولة المرينية تطورا عمرانيا وثقافيا، فبنى المرينيون مدن جديدة كفاس الجديد وتطاوين والمنصورة بالمغرب والبُنيَّة بالأندلس، كما اهتموا ببناء المدارس (مدرسة العطارين) والمساجد والمؤسسات الوقفية المختلفة. خَلَّفَ انكسار الموحدين حالة من الضعف في البر والبحر، فقام بنو مرين بإعادة بناء الأسطول على عهد السلطان أبي الحسن، ووصل عدد قطعه نحو 600 سفينة حربية. واستحدث المرينيون نظم إدارية وعسكرية، كمشيخة الغزاة، وبرز في عصرهم كبار الرحالة أمثال ابن بطوطة، وابن رشيد السبتي حيث حرص المرينيين على تمتين الوحدة الإسلامية مع المشرق عن طريق هذه الرحلات. واحتضنت عاصمتهم فاس كبار المؤرخين والأدباء والعلماء أمثال لسان الدين بن الخطيب وابن خلدون. حاول المرينيون بين سنتي 674 و741 هـ، إعادة تكرار التجربة الموحدية والمرابطية في الحضور المغربي بالأندلس.

## **معركة طريف** - معركة **ريو سالادو**

بعد ما كثرت غزوات النصارى لأراضي المسلمين، اشتبك الفريقان في معركة عامة على ضفاف نهر سالادو في يوم 30 أكتوبر 1340 (جمادى الأولى سنة 741 هـ)، جيوش المسلمين الأندلسيين بقيادة السلطان أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد إسماعيل والمرينيين القادمين من عدوة المغرب بقيادة السلطان أبي الحسن علي بن عثمان المريني من جهة، وجيوش مملكة قشتالة بقيادة ألفونسو الحادي عشر ومملكة البرتغال بقيادة ألفونسو الرابع. تقدم ألفونسو الحادي عشر بجيشه لمهاجمة المغاربة، فصُد في البداية بقوة، واشتبك فرسان الأندلس مع جيش البرتغال. غير أن موازين المعركة انقلبت عندما تسللت حامية طريف النصرانية من الجنوب وانقضت على مؤخرة الجيش الإسلامي، فدب الخلل إلى صفوفه، ونشبت بين الفريقين معركة دموية هائلة، قُتل فيها من المسلمين عدد جم، وسقط معسكر سلطان المغرب الخاص في يد النصارى وفيه حريمه وحشمه وبعض أولاده، فذُبحوا جميعًا، وتبعثرت قوات المسلمين، وفر السلطان أبو الحسن، واستطاع أن يعبر إلى المغرب مع فلوله، وارتد السلطان يوسف إلى غرناطة، وكانت محنة لم يشهد المسلمون مثلها منذ موقعة **العُقاب** سنة 609 هـ ، وكان لها أعمق وقع في المغرب والأندلس.



المرينيون في المغرب والأندلس

CONFIDENTIAL

# الفصل السابع

# مملكة غرناطة

## (620هـ 879هـ /1238م-1492م)

CONFIDENTIAL

بعد سقوط الموحدين في عام 1212 في **معركة العُقاب** (نافاس دى تولوسا)، أصبح ملك المسلمين محصورًا في مقاطعة غرناطة التى حكمها بنو هود (الأدارسة) حتى عام 636هـ، وتحول حكم الأندلس إلى بني نصر(أو بنو الأحمر- ذات الاصل العربي، من قبيلة الخزرج القحطانية) أمراء غرناطة. بنو نصر (النصريون) هي آخر أسرة عربية أو إسلامية حكمت في الأندلس، وكان ذلك في غرناطة ما بين 1232/38-1492 م. جاء أجداد الأسرة إلى منطقة جيان (شمال بلنسية) مع سقوط دولة الموحدين في الأندلس، وأعلن محمد بن نصر بن الاحمر (1232-1273 م) سنة 1232 م نفسه سلطانا في أرجونة. وقيل أنه كان رجلاً ذكيًا نشيطًا عرف كيف يؤسس دولة فقد جمع شتات المسلمين في الأندلس وكون منهم جيشًا. استطاع محمد بن الأحمر بمساعدة بنو مرين في المغرب الاستيلاء بعدها على العديد من المناطق والمدن جنوب الأندلس (غرناطة و مالقة: 1238 م) وتأسيس دولة بنى نصر أو بنى الأحمر آخر معاقل المسلمين في الأندلس.

استطاع بن الأحمر هو وابنه من بعده محمد الثاني (1273-1302 م) أن يدعما أركان دولتهم. كان هذا عن طريق اعترافهم ضمنيا بسيادة مملكة قشتالة عليهم. عرف سلاطين بني الأحمر كيف يلعبوا سياسة التوازن ليجتنبوا المواجهة مع المرينيين حكام المغرب من جهة، والقشتاليين حكام إسبانيا من جهة أخرى. وقد تضافرت عدة عوامل أدت إلى تثبيت حكم بنى نصر في الأندلس ليستمر أكثر من قرنين ونصف من الزمان، منها إنشغال النصارى الإسبان بالمدن التى استولوا عليها من المسلمين، وأيضًا فإن مسلمى هذه المدن (قرطبة وسبيا ومرسيا) هاجروا إلى غرناطة مما ساعد في وجود قوة إسلامية كبيرة هناك، وأيضًا معاونة بنو مرين في المغرب لبني الأحمر في صراعهم ضد النصارى في الأندلس،وتحالف غرناطة في البداية مع مملكة قشتالة وتوجب عليها دفع ضريبة لتظل محتفظة باستقلالها،وأيضًا موقعها الجغرافي المتميز (بوجود سلسلة جبال نيفادا كحاجز طبيعي ).

بلغت الدولة أوجها الثقافي وأصبحت مملكة غرناطة مركزا للحضارة الاسلامية في الأندلس. وقام يوسف الأول (1333-1352 م) ثم محمد الخامس (1354-1359



CONFIDENTIAL

م ثم 1362-1391 م) ببناء قصر الحمراء،وهو من أهم ما تركوه ويعد بحق معلم تاريخي يشهد على التقدم الذي توصل اليه المسلمون في المعمار وتوجد داخل هدا القصر ساحة الأسود الأثني عشر.

بدأت مرحلة السقوط بعد سنة 1408/17 م، فدخل العديد من أفراد الأسرة في صراع داخلي على السلطة، و كانوا يلجؤون أحيانا إلى الملوك القشتاليين لطلب المساعدة. ثم جرت محاولة أخيرة لإنقاذ الدولة عن طريق مولاي الحسن (1464-1482 م ثم 1483-1485 م) وأخوه الزغل الذين حاولوا تدعيم الدولة. حيث كان السبب في الحروب الاهلية الغرناطية هو الصراعات الشديدة بين فرقتين من جيش بنو الأحمر وهما القوة الممثلة في المنتمين للسلطان الفعلي أبو الحسن علي بن سعد وأخيه الثأر عليه محمد بن سعد الملقب بالزغل وقوة اخرى ممثلة في المنتمين للأمير الصغير أبو عبد الله محمد الثاني عشر وهذا الاخير هو ابن سلطان غرناطة أبو الحسن علي بن سعد. كان أبو عبد الله محمد جلس مكان أبيه على عرش غرناطة سنة 887 هـ ، وعمره 25 سنة ، وأراد أن يحذو حذو المجاهدين فخرج في قوات هزم بها النصارى في عدة معارك ، ولما عاد مثقلاً بالغنائم داهمه النصارى في **معركة لوسينا - ظاهر قلعة اللّسانة** فخسر المعركة وأسر على أثرها ، وعاد الجيش دون ملكه ، وحاولت غرناطة إعادة أبا الحسن إلى عرشه بدل ابنه الأسير ولكن الإعياء هدمه والمرض فتك به فتنازل عن العرش لأخيه محمد أبي عبد الله الزغل حاكم مالقة. قيل أن أبو عبد الله، و قت كان مأسورا من قبل القشتاليين، وقع مع فرناندو معاهدة تؤكد خضوعه لهم ، وهي التي على اساسها تم توقيع معاهدات أخرى.

بانتهاء **الحرب الاهلية القشتالية** في حوالي عام 1480م واعتلاء ايزابيلا الاولى على العرش اصبحت الظروف مواتيه لأول مرة في قشتالة بتنفيذ الاحتلال العام لغرناطة، حيث بدت تلك الظروف مناسبة جدا بسبب الازمات السياسية والاقتصادية في مملكة غرناطة. و نهضت قوات ممالك قشتالة واراجون في مواجهة المملكة الوحيدة المتبقية بيد المسلمين مستعيدين حلمهم القديم باستعادة الاراضي المأخوذة من قبل المسلمين ابان الفتح العربي الإسلامي لأسبانيا قبل ثمانية قرون . سقوط



CONFIDENTIAL

لوخا في عام 1486م، كان يعني بداية التقدم المسيحي ناحية غرناطة والذى وصل أوجه في عام 1492. وبعد ان فقد المسلمين مالقة (ملجا) في عام 1488م وفقدوا كذالك مدينة المرية والاراضي الشرقية (بايانا) في عام 1489م- تركت الاراضي الغرناطية في موقف خطر وحصار من كل الجهات. وفي عام 1491م تم التخلص من سور غرناطة وتدميرة من قبل المسيحيين وتم بناء "سانتا فيه " المعسكر الاساسي الذي من خلاله نفذ الملوك الكاثوليك عملية الحصار لغرناطة . ولم يستطع محمد الثاني عشر (1482-1483 م ثم 1485-1492 م) أحد أبناء الحسن، أن يقاوم أمام الضغط المتزايد على مملكته من طرف الملكين إيزابيلا (الأراگون) وفرديناند (قشتالة). وتم محاصرة غرناطة واختار محمد الثاني عشر أن يسلم المدينة سنة 1492 م. وهكذا انتهى وجود مملكة بنو الأحمر والتي استمرت أكثر من 250 عاما وسقطت بذلك آخر القلاع الاسلامية في الأندلس.



مملكة غرناطة

CONFIDENTIAL

## **سُقوط غرناطة** (1 ربيع الأوَّل 897هـ/ 2 كانون الثاني (يناير) 1492م)

لم يبقَ في أيدي المُسلمين في أيبيريا سوى مملكة غرناطة الواقعة في جنوب شبه الجزيرة الأيبيريَّة، وقد عمَّرت هذه المملكة مُدَّة قرنين ونصف على الرُغم من صغر حجمها الجُغرافي وقلَّة عدد سُكَّانها، وحافظت على ما بقي للمُسلمين من سُلطانٍ سياسيٍّ وتُراثٍ حضاريّ، ويرجع صُمودها هذا إلى عدَّة أسباب لعلَّ أهمُها: بُعدها من مُتناول أيدي الممالك النصرانيَّة، وقُربها من المغرب ممَّا سهَّل عليها طلب العون والمدد العسكري عند الحاجة، وتدريب أهلها على القتال وحمل السلاح والاستعداد الدائم لِمُلاقاة العدو والتزام سُكَّانها بالجهاد،وتصميم الهاربين إليها من سائر مُدن الأندلُس على الصُمود والتضحية.

وقد شهد هذا العصر ذُروة الصراع بين المُسلمين والقشتاليين، ذلك أنَّ ألفونسو الحادي عشر حاول اقتطاع جُزءًا من أراضي مملكة غرناطة الصغيرة، فكثُرت غزواته لِأراضيها، الأمر الذي دفع أميرها إلى الاستنجاد بسُلطان المغرب المريني يعقوب بن عبد الحق، الذي أمدَّهُ بالرجال والعتاد، فقاتل حلفًا صليبيًا تمكن من هزيمته في بادئ الأمر في موقعة الدونونية- 674/1276هـ ،وعاد فقام بحصار وغزو إشبيلية، وأسس بقرب الجزيرة الخضراء مدينة حصينة؛ سماها «البُنيَّة». وفي سنة 676هـ، عاد لإشبيلية، وفتك بالجيوش الإسبانية، ثم توجه لقرطبة واشتبكوا مع الإسبان في أبوابها ورجع عن طريق غرناطة، وزار حاكمها ابن الأحمر، وعاد إلى المغرب سنة 677هـ. وتذكر المصادر التاريخية الإسبانية معركة **ألكوي**، حيث توغل جند المرينيين لبلدات فالنسية مثل ألكوي(Alcoy) وإل بويغ، وكان لهذه الحملة أثر ترك بصمته في الرواية الشعبية الفالنسية تحتفظ إلى يومنا هذا بتفاصيلها وتتجلى في احتفالات. المسلمين والمسيحيين في ألكوي (بالإسبانية.Moros y Cristianos de Alcoy ) وباستمرار دخول المجاهدين من المغرب إلى الأندلس قرر قادة الجيش المغربي إنشاء مراكز للمرابطة ("مشيخة الغزاة" ورئيسها باسم شيخ الغزاة) فيها، ليكون العسكر على أهبة الاستعداد لمجاهدة الممالك الإسبانية، ، فأصبح الحضور المريني بالأندلس يمر عبر هذه المشيخة والتي كانت تشكل اللعبة السياسية القائمة آنذاك بين المرينيين وبني الأحمر. لكن

السلطان المريني أبي الحسن انهزم من ألفونسو الحادي عشر هزيمةً قاسية في **معركة طريف** - جمادى الثانية 741 هـ / نوفمبر 1340م، أسفرت عن مذبحة للمسلمين، وأسر عدد من الجنود، ومن بينهم أحد أبناء السلطان أبي الحسن، ووفاة زوجة السلطان الحفصية التي قتلت مع زوجة أخرى، وهروب السلطان بنفسه نحو سبتة.

كانت تلك الهزيمة نذيرًا باقتراب نهاية الصراع على مصير الأندلُس. وخِلال رُبع القرن التالي توالت الهزائم على المُسلمين، فخسروا مُعظم أراضي مملكة غرناطة. الملك أبو عبد الله مُحمَّد بن عليّ-محمد الثاني عشر(من بني نصر أو بني الأحمر- آخر ملوك الأندلس المسلمين الملقب بالغالب بالله) حكم غرناطة وعمره 25 عاما بينما كانت الأندلس قد انكمشت من جهة الجنوب إلى مملكتين هما مملكتي مالقة وغرناطة. الأعوام التالية أبو عبد الله الصغير قضاها في الاحتراب و الاقتتال مع أبيه أبي الحسن علي بن سعد وعمه أبي عبد الله محمد الزغل. في عام 1483 هاجم الأسبان إمارة مالقة ليستولوا عليها ويبيدوا من كان بها من المسلمين إلا أن عبد الله الزغل هزمهم هزيمة نكراء أعطت المسلمين الأمل في ارجاع كرامتهم المفقودة. ولكن أبا عبد الله الصغير كان قد شعر بالغيرة من أبي عبد الله الزغل عند ظهوره كبطل شعبي يعطي الأمل للمسلمين، و في نفس السنة حاول أبو عبد الله الصغير غزو قشتالة عاصمة فرناندو فهُزم شر هزيمة في **معركة لوسينا (ظاهر قلعة اللّسانة)** ووقع في الأسر لمدة عامين، ولم يفك أسره حتى وافق على أن تصبح مملكة غرناطة تابعة لفرناندو وإيزابيلا ملوك قشتالة وأراجون. وخرج بعد توقيعه اتفاق سري مع فريدناند وزوجته ايزابيلا. في عام 1489 استدعاه فرناندو وإيزابيلا لتسليم غرناطة، ولدى رفضه أقاما حصارا على المدينة. ثم قام عبد الله الصغير بتوقيع اتفاق ينص على تسليم غرناطة على الرغم من رفض المسلمين لهذه الاتفاقية. وبسبب رفض أهل غرناطة لهذ الاتفاقية، اضطر المسلمين للخروج في جيش عظيم للدفاع عن المدينة ولأن أبا عبد لله الصغير لم يستطع الافصاح عن نيته في تسليم المدينة، قام بدب اليأس في نفوس الشعب من جهات خفية إلى أن توقفت حملات القتال وتم توقيع اتفاقية عام 1491م التي تنص على تسليم المدينة، وتسريح الجيش ومصادرة السلاح. وقَّع الوزير أبا القاسم بن عبد الملك، بالنيابة عن الملك



CONFIDENTIAL

أبو عبد الله في 12 صفر 897هـ ا-15 ديسمبر1491م مُعاهدةً مع الملك فرناندو الخامس، سلَّم بموجبها غرناطة وكافَّة أعمالها إلى القشتاليين. ثم اشتد الحصار على غرناطة واستسلم عبد الله الصغير ومن معه من قادة الجيش وعلماء السوء لفرديناند وإيزابيلا؛ إلا وزيره موسى الشهم. فكان استشهاد موسى بن أبي غسان وتسليم الملك الصغير غرناطة للملكين "فرناندو الخامس" و"إيزابيلا" إيذاناً بانتهاء عصر حكم المسلمين في غرناطة، وبسقوطها ينتهي حكم المسلمين بالأندلس.

أعطى أبو عبد الله محمد الثاني عشر الموافقة بالتسليم، ولم ينسَ أن يرسل إليهما بعضاً من الهدايا الخاصة، وبعد التسليم بأيام دخل الملكان في خيلاء قصر الحمراء الكبير ومعهما الرهبان، يوم الإثنين في 1 ربيع الأوَّل 897هـ المُوافق فيه 2 كانون الثاني (يناير) 1492م ، وفي أول عمل رسمي يقومون بتعليق صليب فضي كبير فوق برج القصر الأعلى، ويُعلن من فوق هذا البرج أن غرناطة أصبحت تابعة للملكين الكاثوليكيين، وأن حكم المسلمين قد انتهى من بلاد الأندلس.

بِسُقوط غرناطة سقطت الأندلُس نهائيًا، وأُسدل الستار على تاريخ المُسلمين فيها.

خرج آخر ملوك المسلمين أبو عبد الله محمد بن الأحمر الصغير من القصر الملكي في نكسة كبيرة وفي ذل وصغار، في اتجاه بلدة "أندرش"، حتى وصل إلى ربوة عالية(يُعرف هذا التل بـزفرة العربي الأخيرة) تُطل على قصر الحمراء يتطلع منها إليه، وإلى ذاك المجد الذي قد ولَّى، و لم يستطع فيه الصغير أن يتمالك نفسه، انطلق يبكي حتى بللت دموعه لحيته، حتى قالت له أمه «عائشة الحرة»: "أجل؛ فلتبكِ كالنساء مُلْكاً لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال".

بعد الخيبات التي مر بها المسلمون بسببه، غادر أبو عبد الله الصغير من الأندلس إلى فاس وعاش هناك حياة لم يعرف أحد عنها شيئا حتى مات عن عمر يناهز الخمسة والسبعين عاما متهما بالعار والخيانة والتفريط.



مملكة غرناطة



CONFIDENTIAL

# الباب الثاني

## سقوط الأندلس

CONFIDENTIAL

## سقوط الأندلس

من جملة الأشياء التي اتفق عليها تقريبا كل العرب إلى درجة أنها أصبحت في أذهانهم حقيقة راسخة لا تقبل الجدال، هي أن أجدادنا صنعوا في الأندلس واحدة من أعظم الحضارات في التاريخ وأكثرها تقدما وتسامحا وعدلا وتعايشا بين الأديان .
إن قصة سقوط الأندلس قصة مؤلمة جداً؛ تؤلمنا أرواح الأعداد الهائلة من الشهداء الذين سقطوا على أرضها، وتؤلمنا النساء اللواتي انتهكت أعراضهن، ويؤلمنا الخونة من بني جلدتنا الذين خانوا أمتهم، ويؤلمنا أيضاً أننا فقدنا بفقدها مجداً و تاريخاً عريقاً. هذا المجد وذاك التاريخ قد انتهى وضاع، وصارت الأندلسُ الفردوسَ المفقود. إلا أنه لا بد من قراءة هذا التاريخ وكيف ضاع، وكيف سلب منا، وكيف سقطت الحضارة الأندلسية بعد بناء دام قروناً عديدة. و بلا شك إنه بقراءتنا السننية لتاريخ الأندلس، سنصل إلى نتيجة مهمة ونافعة للأمة في حاضرها ومستقبلها؛ كيف تقام الأمجاد وكيف تسقط، كيف تبنى الحضارات وكيف تهدم، كيف يبزغ فجرها وكيف يأفل، وأخيراً كيف تشرق شمس أمة وكيف تغيب. **سقوط الأندلس** تطلق عليه المصادر الإسبانية **حروب الاستعادة** أو **حروب الاسترداد** (**Reconquista**) نسبةً إلى استرداد الإسبان لأرضيهم من المستوطنين المسلمين. الحضارة الأندلسية هي فترة في تاريخ شبه الجزيرة الايبيرية تمتد إلى ما يقرب من 770 عاما، ما بين الفتح (الغزو) الإسلامي لإسبانيا والبرتغال عام 710م حتي سقوط غرناطة في عام 1492 م ، آخر دولة إسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية، حيث أدت إلى توسيع الممالك المسيحية. سقوط الأندلس تم بشكل تدريجي فقد تتابع سقوط المدن الأندلسية واحدة بعد الأخرى. المؤرخون الأسبان والمسلمون يضعون بداية تقليدية في عام 718م (في أوائل فترة الحكم الإسلامي للأندلس) حين بدأت حركة الإسترداد المسيحية مع **معركة كوفادونجا-** (Covadonga)، حيث هزم جيش مسيحي صغير، بقيادة النبيل بيلا (أو بلايو) جيوس، جيش الخلافة الأموية (ابن علقمة اللخمي) شر هزيمة في جبال قرية كوفادونجا شمال شرقي أيبيريا وأنشأت إمارة مسيحية في أستورياس وتم تأسيس أولى الإمارات الفرنجية في شمال أيبيريا. انتهى الاسترداد قبيل إعادة اكتشاف الأوروبيين الأمريكتين و "العالم الجديد" الذي بشر به في عهد الإمبراطوريات الاستعمارية البرتغالية و الإسبانية.



CONFIDENTIAL

# أسباب سقوط الأندلس

إن تاريخ الأندلس بصفحاته الطويلة تظهر فيه سنن الله في النصر والهزيمة والقيام والسقوط جلية واضحة، وفيه من الدروس والعبر الكثير الكثير. والمصير المحزن الذي صارت إليه الأندلس ، قد حذرنا منه الكتاب الكريم في قوله تعالى:" وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً "-الأنفال:25. و حذرنا منه الرسول -صلى الله عليه وسلم- ،ففي الصحيح سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : نعم ، إذا كثر الخبث) وبيان ذلك أن الصالحين في الأمة إذا سكتوا على المعاصي ، ولم يأمروا بالمعروف ، ولا نهوا عن المنكر ، كانوا هم أنفسهم ظالمين، فاستحقوا أن تصيبهم الفتنة عقوبة لهم. حتي وإن امتثلو لما أمر الله به ، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، تصبهم الفتنة عقوبة لهم على بقائهم مع الظالمين، وقعودهم عن الهجرة وهم قادرون عليها. وهو مصداق قوله تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"- النساء:97. فلماذا سقطت الأندلس وقضي على الوجود الإسلامي فيها بعد ذلك العز والتمكين؟ و ما هي الأسباب؟.

CONFIDENTIAL

## الأسباب العامة

### أ. التفرق

المؤرخون المسلمون جعلوا من انقسام وفساد حكام الأندلس وعدم اتحادهم السبب الرئيسي لسقوطها . فتفرق أمرائها ، وتسمى كل من ملك منها شيئاً ملكاً كما قال ابن رشيق:

مما يزهدني في أرض أندلس ألقاب معتضد فيها ومعتمد

ألقاب سلطنة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد .

وجاء أبو الوليد الباجي من الشرق فوجدهم متفرقين وهو يعلم عاقبة التفرق ، فأخذ يطوف عليهم ويدعوهم إلى الوفاق والاتحاد ، وهم يجاملونه في الظاهر ، ويستبردونه ويستثقلون نزعته. قال تعالى: "وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ".

### ب. التنازع

كثرالتنازع بين المسلمين على الدنيا؛ حيث دبَّ النزاع بين مسلمي الأندلس على الدنيا منذ وقت مبكر، فتنازع العرب والبربر، وتنازع اليمانية والقيسية، وتنازع الأشقاء والأقارب على المناصب، وقد أضعف ذلك الصف الإسلامي، وأريقت دماء غزيرة، وقتل من المسلمين في صراعهم الداخلي أضعاف أضعاف ما خسروه في فتح الأندلس وفي صد هجمات النصارى عليها. وكانت أسباب هذه النزاعات دائمًا تافهة؛ فمثلاً وقعت فتنة مدمرة بين اليمانية والقيسية سنة 207هـ في عهد عبد الرحمن الأوسط، سببها أن مضريًّا انتزع ورقة دالية من جنان يماني فقتله اليماني، واستمرت الفتنة التي حاولت السلطة إخمادها سبع سنوات، وسقط فيها آلاف القتلى من المسلمين. قال تعالى: "وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ."

CONFIDENTIAL

**ت. الفتنة** (والحروب الأهلية)

ما حصل في الأندلس، كان موازيا لما حصل في بلاد الفرس (إيران)، فالبربر هم الذين فتحوا إسبانيا، ولكن العرب هم الذين استأثروا بالمناصب القيادية. و في بلاد الفرس (إيران) غضب الفرس من عنصرية العرب فأعلن الكثير منهم ولاءهم لمذهب الشيعة، و كذلك غضب البربر من عنصرية العرب فأعلن الكثير منهم ولاءهم لمذهب الخوارج الذين فروا من المشرق إلى المغرب تحت وطأة ضربات الدولة الأموية. وعمت الفتنة بلاد الأندلس، واقتتل المسلمون فيما بينهم تاركين شمال إسبانيا للسكان الأصليين( القوط -سكان إسبانيا في ذلك الوقت)، فاستعاد هؤلاء حلمهم في التخلص من المسلمين الذين استباحوا ثرواتهم وأراضيهم... ثم كانت الحرب الأهلية بين القيسية (عرب الشام) والمضرية (عرب الحجاز واليمن)، واستغل القوط الفرصة ليستعيدوا المزيد من الأراضي في الشمال، وليكوّنوا دويلات مستقلة إسبانية وبرتغالية تكبر مع الوقت شيئا فشيئا على حساب الأراضي الإسلامية.

قال أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي (المتوفي عام 372 هـ) حاجب الخليفتين الحكم المستنصر بالله وابنه هشام المؤيد بالله (مات مسمومًا وقيل مخنوقًا في محبسه عام 372 هـ وأسلم إلى أهله وهو في أقبح صور):

لا تأمننّ من الزمان تقلُّبا إن الزمان بأهله يتقلبُ
ولقد أراني والليوث تهابني وأخافني من بعدُ ذاك الثعلبُ
حسبُ الكريم مذلةً ونقيصةً أن لا يزالَ إلى لئيمٍ يَطلبُ
وإذا أتتك أُعجوبةٌ فاصبر لها فالدهرُ يأتي بعدُ ما هو أعجبُ

**ث. الانحراف**

شاع الانحراف عن شرع الله تعالى ومنهجه الإسلامي الصحيح؛ فقد انتشر في الأندلس شرب الخمر، حتى إنه لم تُقَم الحدود على شاربيه، كما انتشر اللهو والطرب والجواري، وكان الأمراء يتغالون في شرب الخمور ومجالس اللهو ويتنافسون في تقريب المغنين والمغنيات، ويبنون لهم قصورًا قرب قصورهم، في الوقت الذي كانت فيه المدن الأندلسية تتساقط وأهلها يُقتلون، ونساؤها



CONFIDENTIAL

يُسبين. فزرياب مطرب بلاد الرافدين (عاصر الخليفة العباسي هارون الرَّشيد)، ومبتكر فن الذوق العام (الإتيكيت)، اشتهر في الأندلس وتمركز بها وقد لقب زرياب بالقرطبي. اشتهر عن زرياب إقامة الولائم الفخمة وتنسيقها وترتيبها وكان ذلك كله النواة الأولى في فخامة قصور ملوك الأندلس وبيوت الأغنياء وأناقتهم .ويدل على أن كثيراً من الأمراء وقعوا في المدنية الزائفة، أن أهل بلنسية حين هاجمهم العدو(في واقعة بترنة التي انهزم فيها أهل بلنسية) ، خرجوا إليه في حلل من الحرير والزينة فقال شاعرهم:

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستم حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها لو لم يكن في بترنة ما كانا

ولما استولى العدو على غرناطة ، خير المسلمين بالأندلس بين الدخول في النصرانية أو الخروج من أرض الأندلس أو القتل ، فمنهم من غلب عليه حب ممتلكاته من المزارع والمباني، فاختار الإقامة ، ومنهم من عز عليه دينه فهاجر إلى أفريقيا : كفاس وتلمسان و تونس.

**ج. الترف**

أصاب الترف أهل الأندلس وحكامها. ويؤكد ابن خلدون أن الترف من أهم أسباب سقوط الدول؛ لأنه يؤدي إلى حب الدنيا والتمسك بالحياة، والعزوف عن الجهاد، ومن يحرص على الحياة لا يدافع عن أرض أو عرض أو دين أو كرامة، فتضيع أرضه وتسقط دولته. بالغ أهل الأندلس في الإنفاق على المسكن والملبس والمأكل، وشغلهم ذلك عن الدفاع عن أرضهم وعرضهم، فهانوا على عدوهم. يُروى أن ألفونسو ملك الأسبان قال لرسول ابن عباد إليه: "كيف أترك قومًا مجَّانين، تَسَمّى كلُّ واحدٍ منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم المعتضد والمعتمد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون، وكل واحد منهم لا يَسُلُّ في الذّبِّ عن نفسه سيفًا، ولا يرفع عن رعيته ضيمًا ولا حيفًا، قد أظهروا الفسوق والعصيان واعتكفوا على المغاني والعيدان؟". كان كثيراً منهم ينفقون الأموال الطائلة في البناء الضخم وزخرفته ويُروى أن وزيرًا دخل على أحد ملوك الطوائف فوجده حزينًا مغضبًا، فظنَّ أنه غاضب



CONFIDENTIAL

بسبب ما حلَّ بالدويلة المسلمة المجاورة له التي احتلها النصارى فقتلوا رجالها وسبوا نساءها، فقال له: ليس ذلك ما يغضبني، بل المهندس المكلف ببناء قصري الذي لا يلتزم بأمري. وقد أدرك هذا منذر ابن سعيد البلوطي فكان يعظ عبد الرحمن الناصر بخطبه وقصائده ، فدخل عليه منذر وقد بنى مدينة الزهراء فقال له :يا باني الزهراء مستغرقاً أوقاته فيها أما تمهل! لله ما أحسنها منظراً لو لم تكن زهرتها تذبل. فقال له الناصر : إن سقيت بماء الدموع ، وهب عليها نسيم الخشوع ، لا تذبل إن شاء الله ، فقال المنذر : اللهم اشهد فقد بلغت. وروي في تاريخها أن المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة بنى قصراً وأنفق أموالاً طائلة فسمع منشداً يقول :أتبني بناء الخالدين وإنما بقاؤك فيها قد علمت قليل. يقول الله تعالى يحذرنا من مغبة الغفلة عنه: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [الحشر: 19].

**ح. موالاة الأعداء**

من أهم أسباب سقوط الأندلس موالاة أعداء الأمة من الصليبيين، وإحسان الظن بهم؛ فقد أقام حكام الأندلس في عهد الطوائف علاقات حسنة مع الصليبيين، وجاملوهم واستعانوا بهم بعضهم على بعض، ووثقوا بعهودهم. والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها: أن ابن رزين حسام الدولة صاحب شنتمرية حمل الهدايا النفيسة وتوجه بها إلى الملك الإسباني ألفونسو ليهنئه على احتلاله لطليطلة، فجازاه ألفونسو بإعطائه قردًا؛ احتقارًا له، لكن حسام الدولة عدَّ ذلك مفخرة له.

قال تعالى: "وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ".

**خ. تقاعس العلماء**

تقاعس كثير من علماء الأندلس عن دورهم الدعوي والجهادي والإصلاحي؛ فقد اشتغل كثير منهم في المسائل الخلافية، ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، بل إن كثيرًا منهم قد مدحوا الحكام وأثنوا عليهم وتغاضوا عن عيوبهم، وشاركوا في المنكرات. يقول ابن حزم في وصف هؤلاء العلماء: "ولا يغرنكم



CONFIDENTIAL

الفساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم".وبدلاً من دعوة الناس إلى الجهاد والثبات، نجد أحدهم يدعو الناس إلى مغادرة الأندلس؛ إذ يقول عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال بعد سقوط طليطلة في يد النصارى سنة 475هـ:

| | |
|---|---|
| يـــا أهـل أنـدلـس حثوا مَطيَّكـُمُ | فما المقام بها إلا مـن الغلـطِ |
| الثوب يُنسلُ من أطرافه وأرى | ثوب الجزيرة منسولاً من الوسـطِ |
| ونحن بيـن عـدو لا يفارقنـا | كيف الحياة مع الحيات في سفـطِ |

علماء الأندلس سكتوا عن إنتشار استرقاق الجواري. واسترقاق الجواري كان مباحًا ومشروعًا وشائعًا قبل الإسلام، وأباح الإسلام استرقاق النساء الكافرات اللواتي يؤتى بهن بعد الحرب، إلا أن ثمة فرقًا كبيرًا بين معاملة المسلمين للجواري غير المسلمات من معاملة الكفار للأسيرات المسلمات، فقد شرع الفقهُ الإسلامي كيف يجب أن يُعامِل السيدُ المسلم عبيده، ذكورًا كانوا أم إناثًا، وجعل لهم حقوقًا كثيرة. وشاع في الأندلس شراء الجواري والاستمتاع بهن بمجرد ملك اليمين. و كان أول وآخر الخُلفاء الأُمويين في الأندلس أبناء جواري . كان كثير من العلماء يؤيد مشروعية استرقاق الأسرى ويستدل بقوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ؛ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ» (المؤمنون) على جواز الاستمتاع بالجواري بمجرد ملك اليمين بدون حاجة إلى عقد النكاح. لكن حفظ الفرج في الآية السابقة لا يعني الامتناع عن الزنا، بل يعني تغطيته عن الناظرين. وبالتالي فإنها لا تجيز الاستمتاع بالجواري بمجرد ملك اليمين بل يشترط فيه عقد النكاح. ومعنى الآية أنه لا حرج من انكشاف ما يجب ستره عند الزوجة أو عند من يقوم بخدمة البيت من الإماء. والطريق الوحيد للإستمتاع الجنسي من الجواري هو النكاح، كما جاء في الآيات من سورة النساء (4 / 25). وقد بين الله تعالى في هذه الآية شروطا ستة وبتحققها يمكن الزواج من الجواري. واسترقاق الجواري يشرع عند وجود

أسبابه، وقد انمحت هذه الأسباب في الوقت الحالي. كما لا يمكن اليوم وجود جواري مملوكة ملكا شرعياً.

**د. التقاعس** (الإحجام عن إنجاد المسلمين)

أحدث النصارى من المآسي ما تقشعر منه الأبدان وتنخلع منه القلوب؛ والمسلمون في غمرة ساهون. دخل النصارى بربُشْتَر ( مدينة في مملكة سرقسطة) سنة 456 هـ- 1064م ، وفي اليوم الأول قتلوا من المسلمين أربعين ألفًا، وسبوا سبعة آلاف فتاة بكر منتخبة وأعطين هدية لملك القسطنطينية، وأحدثوا من المآسي ما تقشعر منه الأبدان وتنخلع منه القلوب؛ إذ كانوا يعتدون على البكر أمام أبيها وعلى الثيِّب أمام زوجها، والمسلمون في الداخل يستغيثون بكل أمراء المؤمنين في كل أرض الأندلس، ولكن لا حراك. ومثلها أيضًا كانت مأساة بَلَنْسِيَّة في سنة 456 هـ- 1064 م ، حيث قتل ستون ألف مسلم في هجوم للنصارى عليها، ولم يتحرك من المسلمين أحد. وقبل سقوط قرطبة في633 هـ- 1236م نكل ابن هود عن إنجاد المدينة المحصورة و لبث جامدا في قواته على مقربة منها، وهو صاحب الولاية الشرعية على قرطبة وكان على علم بالخطر الذي يحدق بعاصمة الخلافة القديمة. قيل أنه لو اشتبك ابن هود بجيش فرناندو الثالث القشتالي، وكان القشتاليين قلة في العدد، للحقت بهم الهزيمة ولتركوا المدينة المحصورة وشأنها. وفي يوم سقوط قرطبة تحول مسجدها 'الجامع الكبير' إلى كنيسة، وما زال كنيسة إلى اليوم. لكن بعد محاولة ألفونسو السادس حصار إشبيلية هدده المعتمد على الله بن عباد إن لم ينسحب سيستعين بالمرابطين (مجردالتلويح بالاستعانة)، فانسحب على الفور.

**ذ. الجبن**

قبول الأمراء دفع الجزية للنصارى: جبن كثير من أهل الأندلس وحكامها بعد أن كان جيشها يستخف بالموت في سبيل الدعوة إلى الله ورفع راية الإسلام. وصار الجهاد طمعا في مزيد من السبايا والأموال والأنفال . قبل أمراء المؤمنين في هذه الفترة دفع الجزية للنصارى، لألفونسو السادس حاكم إمارة



CONFIDENTIAL

"قشتالة" التي توسعت على حساب المسلمين في عهد ملوك الطوائف ،حتى يحفظ لهم أماكنهم وبقاءهم على الحكم في بلادهم. لكن كان هناك من أمراء الأندلس من يرفض هذه الأوضاع ولا يقبل أن يدفع الجزية للنصارى(لألفونسو السادس) مثل المتوكل بن الأفطس (مملكة بطليوس الصغيرة)، وكان هناك علماء أيضًا يرفضون هذه الأوضاع، وينادون بالإصلاح مثل الفقيه الإسلامي ابن حزم، و ابن حيان، وأبو الوليد الباجي، وغيرهم من أبناء الأندلس. ولم يتجّرأ ألفونسو السادس على أن يغزو مملكة بطليوس بمجرد أن لوّح بن الأفطس بجهاد لا يرضي فيه إلا بإحدى الحسنيين، نصر أو شهادة ، فأعزّ الإسلامُ ورفع من شأن "ابن الأفطس" ومن معه من الجنود القليلين حين رجعوا إليه. باقي أمراء الأندلس كان كل هدفهم هو الدنيا والتنافس بين بعضهم البعض والاستعانة بالنصارى، وكانت نتيجة هذا التخاذل هي سقوط طُلَيْطِلَة، أما النتيجة الثانية لهذا التخاذل هي حصار إشبيلية.

**ر. الاغترار بالكثرة الغثائية**

الإعجاب و الاغترار بالكثرة "الغثائية" هزيمة روحية تسبق الهزيمة في ميدان المعركة. وهكذا فإن التواكل والاتكال على الأسباب الظاهرة مرض دواؤه التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه، مع إعطاء الأسباب حقها، بإعداد ما استطعنا من قوة. وإنما الأسباب الظاهرة من وضع الله تعالى. فمن جَدّ وَجَدَ، ومن لَجَّ وَلَجَ، ومن سار على الدرب وصل. قال جل وعلا: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} [التوبة: 25].

**ز. الخيانة**

أغرى العدو النصرانى بعض أهل الأندلس بالمال ، فساعدوه على الاستيلاء عليها، وكذلك المستعمر لا يغلب المؤمنين إلا إذا عاونه طائفة من المسلمين. وصلت الخيانة ببعضهم إلى أن رأى إخوانه والعدو يحاصرهم لا يحرك ساكناً ويرفض نصرتهم ومساعدتهم، كما وقع لما راسل المظفر بالله أخاه المؤيد بالله،



CONFIDENTIAL

بل أرسل إلى كل دويلات الأندلس يطلب المدد وفك الحصار عن المسلمين، لكن للأسف لم يجبه أحد، بل دل أحد الخائنين العدو الفرنجي على مصدر الماء الذي يروي عطش المسلمين فقطعوه عنهم فاشتد العطش بهم، فاقتحم الكاثوليك والنورمان النصارى مدينة "بربشتر" فاستباحوها وقتلوا بين 40 ألفاً و100 ألف من أهلها، وهتكوا الأعراض أمام محارمها وأهلها، وأصبح كل أهل المدينة عبيداً للمحتل بعدها. ولما جاء دور غرناطة، ظهرت خيانة جديدة من أبي عبد الله محمد الثالث عشر المعروف بـ "الزغل" لابن أخيه الملك أبي عبد الله الصغير طمعاً في الملك، فكان سبباً في إضعاف المملكة وجعلها فريسة لمملكتي قشتالة وأرجون. لكن جرت الرياح بما لم تشتهه السفن، فأهل غرناطة له كارهون وباسم ابن أخيه يهتفون، فما كان منه إلا أن أخذ أمواله وحشمه وخدمه متوجهاً إلى المغرب ليعيش عيشة هنية بما أخذه معه من مال وجوار وخدم، لكن حاكم فاس سرعان ما ألقى القبض عليه وجرده من كل ما يملك، فسملت عيناه وألقي به في السجن ثم أطلق سراحه بعد ذلك، فعاش متسولاً منبوذاً حتى مات. قال تعالى: "لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ". وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

**س. حكم الفرد و السلطوية**

السلطوية شكل من اشكال الحكم ، تدير فيه البلاد فئة قليلة من الناس مع حكومة تتميز بدرجة عالية من قوة الدولة والغياب الغالب للإجراءات المتعلقة بالموافقة الشعبية أو حماية حقوق الأفراد. كان حكم الأندلس حكماً فردياً دون شورى أو محاسبة حقيقية ، وكان حكام الأندلس حريصين على "التوريث"، فتكرر وسد الأمر لغير أهله. ولقد تجسد هذا العامل واضحًا جليًا حين ولّى الخليفة الحكم ابنه الطفل هشام المُؤيَّد بالله أمور الحكم في البلاد وهو لم يتجاوز الثانية عشرة سنة بعد، فتحكم فيه الأوصياء وحدثت المكائد والمؤامرات. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا وسِّد الأمرُ إلى غير أهله، فانتظر الساعة).

## الجواري في الإسلام

الرقيق لغة هوالمملوك ذكراً كان أم أنثى، والرق في إصطلاح الفقهاء هو: عجز حكمي يقوم بالإنسان سببه الكفر، أو هو عجز شرعي مانع للولايات من القضاء والشهادة وغيرها. والأصل في الإنسان الحرية والرق طارئ، والله تعالى خلق آدم وذريته أحراراً. والأصل كذلك في الرقيق أنه مكلف كسائر المكلفين متى كان بالغاً وعاقلاً رجلاً كان أم امرأة، وهو مجزي عن أعماله خيراً أو شراً، وأنه يوافق الأحرار في أغلب الأحكام باستثناء بعض الأحكام التي يختص بها الرقيق.وأسباب الرق ثلاثة:

الأول: الأسر والسبي من الأعداء الكفار. و يكون موجبه سبي الكفار في حروبهم مع المسلمين، والإمام مخير فيهم بين خمسة أمور، منها الاسترقاق، قال خليل: كالنظر في الأسرى بقتل أو من أو فداء أو جزية أو استرقاق. والأصل في الإنسان الحرية وإنما الرق هنا لعارض الكفر.

الثاني: ولد(استيلاد) الأمة من غير سيدها يتبع أمه في الرق.

الثالث: الشراء ممن يملك الرقيق ملكاً صحيحاً معترفاً به شرعاً. و الاستمتاع بالإماء لا يكون مشروعاً إلا إذا كان في ملك تام للمستمتع، أو نكاح صحيح، وما خرج عن ذلك فهو محرم، لقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ*إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) [المؤمنون:5-6].فالأمة التي يحل الاستمتاع بها إما أن تكون زوجة، وإما ملك يمين، كما يشترط لوطئها الملك التام، وأن لا يقوم بها مانع يقتضي تحريمها عليه.وقد حرَّم الإسلام أن تكون الجارية متاعًا مشاعًا، فأوجب أن تكون الجارية أو الجواري ملكًا لرجل واحد، ولا يجوز بل يحرم أن يُجامِعهن غيرُه، كما أوجب الإسلام عليه أن يُنفِق عليهن وأن لهن ما يحتجن إليه من الطعام والكسوة، وأن يكرمهن كما حثَّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الزواج بهن، ليُصبِحن حرَّات سيدات، كما حث ورغَّب في تعليمهن وتأديبهن، ونهى عن ضربهن، فقد قال - عليه الصلاة والسلام -: (مَن كانت له جارية فعلَّمها وأحسن إليها وتزوَّجها، كان له أجران في الدنيا والآخرة)، أجر النكاح والتعليم وأجر العتق، فهذا التشريع هو خيرٌ لهن من أن يُترَكن يتسكَّعن في الطرقات والشوارع، ولا معيل لهن.

### حكم الجواري في الإسلام

استرقاق الجواري كان مباحًا ومشروعًا وشائعًا قبل الإسلام، وقد ذكرَتْه الكتب السماوية، فهاجرُ جاريةٌ تزوَّجها إبراهيم - عليه والسلام - وقد كان من نسلِها إسماعيل - عليه السلام - ومن نسل إسماعيلَ محمدٌ - صلى الله عليه وسلم. أباح الإسلام استرقاق النساء الكافرات اللواتي يؤتى بهن بعد الحرب، إلا أن ثمة فرقًا كبيرًا بين معاملة المسلمين للجواري غير المسلمات من معاملة الكفار للأسيرات المسلمات، فقد شرع الفقهُ الإسلامي كيف يجب أن يُعامِل السيدُ المسلم عبيده، ذكورًا كانوا أم إناثًا، وجعل لهم حقوقًا كثيرة. إذا الإسلام شرع ملك اليمين واسترقاق الجواري؛ حرصًا على مصلحتهن وخوفًا عليهن من أن يتشرَّدن فيتعرَّضن للإهانة في شرفهن وكرامتهن، كما أن في هذا التشريع حفظًا للبلاد من انتشار الفساد إذا تُركنَ بغير مُعِيل يعيلهن ولا راع يرعى شؤونهن، فما أعظم هذا الدين، وما أرحمه، وما أسمى معاملته حتى مع ألد أعدائه!. واسترقاقُ الجواري يشرع عند وجود أسبابه، وقد انمحت هذه الأسباب في الوقت الحالي. كما لا يمكن اليوم وجود جواري مملوكة ملكا شرعياً.

### إضافة

كثير من العلماء قديما وحديثا ممن يؤيد مشروعية استرقاق الأسرى يستدل بقوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ؛ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ» (المؤمنون) على جواز الاستمتاع بالجواري بمجرد ملك اليمين بدون حاجة إلى عقد النكاح. فحفظ الفرج في الآية السابقة لا يعني الامتناع عن الزنا، بل يعني تغطيته عن الناظرين. وبالتالي فإنها لا تجيز الاستمتاع بالجواري بمجرد ملك اليمين بل يشترط فيه عقد النكاح. ومعنى الآية أنه لا حرج من انكشاف ما يجب ستره عند الزوجة أو عند من يقوم بخدمة البيت من الإماء. والطريق الوحيد للإستمتاع الجنسي من الجواري هو النكاح، كما جاء في الآيات من سورة النساء. قال الله تعالى: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (النساء، 4 / 25). وقد بين الله تعالى في هذه الآية شروطا ستة وبتحققها يمكن الزواج من الجواري .

# الأسباب التفصيلية للسقوط

## أ. أسباب السقوط بعد الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية (أسبانيا والبرتغال)

### عصر الولاة (92هـ- 138هـ)

عصر الولاة يمتد منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية، وكانت الأندلس خلالها ولاية تابعة للخلافة الأموية، وتعاقب في هذه الفترة الزمنية على الأندلس ثلاثة وعشرون واليًا؛ أي بمعدل سنتين للوالي، وقد استشهد العديد من هؤلاء الولاة أثناء مدّ المسلمين للفتوحات في قلب أوربا، وقد اتسمت هذه الفترة بالعديد من السمات:

(1- **هياج الفتنة** : وهي هياج الفتنة العصبية والقبلية بين جند الفتح من عرب وبربر، ومن قبائل عربية قيسية ويمانية من ناحية أخرى. هذه الفتنة من أهم وأكبر أسباب سقوط دولة الإسلام في الأندلس و ستئول هذه الفتنة لقتال عنيف سُفك فيه الكثير من الدماء، وضاعت المناطق الشمالية من الأندلس خلال هذا الصراع. وظلت هذه الفتنة صراعًا مزمنًا وداءً عضالاً في جسد هذه الدولة، قتلها آخر المطاف.

(2- **شيوع فكر الخوارج** (فرقة كلامية إسلامية وسموا المارقة): شيوع فكر الخوارج (لخروجهم على أئمة الحق والعدل، وثوراتهم المتعددة) في المغرب والأندلس ، الذين فروا من المشرق تحت تأثير الضربات القوية للخلافة الأموية، وأعتنق الكثير من البربر هذا الفكر الشاذ. وقد ارتبط الخوارج على مدى تاريخهم بالمغالاة في معتقداتها الدينية وبالتكفير والتطرف، غير مبالين بقتل المخالفين سراً أو علناً، ولقد تشبثوا بهذا المبدأ وتطبيقه، حتى أصبح علامة من علاماتهم.

CONFIDENTIAL

(3- محاولة المسلمين المتكررة لفتح بلاد فرنسا و التوغل لقلب أوربا، وكانت هزيمة معركة **بلاط الشهداء** سنة 114هـ من أعظم المعارك التي خاضها المسلمون في هذا العصر.

## **معركة بلاط الشهداء** أو **تور** (Tours) أو **بواتييه** (Poitiers) (رمضان 114 هـ/أكتوبر 732م)

المعركة انتهت بانتصار قوات الفرنجة والبورغنديين بقيادة شارل مارتل وانسحاب جيش المسلمين تحت لواء الدولة الأموية بعد مقتل قائده و والي الأندلس عبد الرحمن الغافقي. ومن المؤكد، أن قوات الفرنجة انتصرت في المعركة دون أن يكون لديهم سلاح فرسان، وأوقفت هذه الهزيمة الزحف الإسلامي تجاه قلب أوروبا وحفظت المسيحية كديانة سائدة فيها. وصف المؤرخون المسيحيون المعركة بنقطة التحول الحاسمة في الكفاح ضد الإسلام، مما حفظ المسيحية كديانة لأوروبا وإيقاف الفتح الإسلامي لأوروبا. ويتفق معظم المؤرخين على أن نشأة القوة الفرنجية في أوروبا الغربية حددت مصير القارة، وأن هذه المعركة أكدت سلطتها.

## **سقوط الدولة الأموية -** في دمشق (عام 132 هـ)

أصيبت الدولة الأموية بالضعف إثر وفاة عاشر خلفائها هشام بن عبد الملك 743م-125هـ وتعاقب من بعده أربع خلفاء هم الوليد بن يزيد الذي قتلته الأسرة الأموية لانشغاله عن الدولة وأمور السياسة ويزيد بن الوليد وإبراهيم القاسم ومروان بن محمد، وتميزت فتراتهم بانقسام داخلي حاد واستشراء الحروب الداخلية، فضلاً عن الوضع الاقتصادي المتردي،مما ساهم في تقوية الجماعات والأحزاب الدينية والحركات السياسية المعارضة لحكمهم والتي كانت منتشرة بشكل أساسي في العراق وإيران، البعيدة عن حاضرة الخلافة في دمشق. وأبرز تلك الأحزاب التي عارضت بني أمية الحزب القائل بأحقية سلالة علي بن أبي طالب بالخلافة (فقتل الحسين بن علي عام 680م وقتل زيد بن علي عام 740م بعد أن ثار في الكوفة) والحزب القائل بأحقية سلالة عباس بن عبد المطلب عم النبي محمد بالخلافة



CONFIDENTIAL

(الحزب العباسي)؛ الذي كان قد تطور تطورًا تدريجيًا والتزم الهدوء طوال عهود القوة الأموية واستغل ضعف الاقتصاد لتفجير ثورته، واستغلوا أيضًا التمييز العنصري والطبقي الذي كان يمارسه الأمويون بين العرب وغير العرب في الوظائف والضرائب والجيش. كانت الدعوة العباسية «ثورة دينية واجتماعية واقتصادية» ويراها البعض أيضًا «ثورة الفرس ضد العرب».

CONFIDENTIAL

## ب. أسباب سقوط الخلافة الأموية ثَمّ سقوط الدولة العامرية (الملحقة بالخلافة الأموية)

### الأسباب الرئيسية

هناك ثلاثة أسباب رئيسة لسقوط الدولة الأموية؛ ومن ثَمَّ الدولة العامرية:

- السبب الأول: **انتشار الترف والإسراف**: اتّسم عصر عَبْد الرَّحْمَن النَّاصِر بالبذخ والترف الشديد والإسراف، وكثرة إنفاق الأموال في زخرفة الدنيا، ومن ثَمّ انشغال الناس بتوافه الأمور. فقصر الزهراء الذي أنشأه عَبْد الرَّحْمَن النَّاصِر كان آية في الروعة والجمال وأعجوبة من أعاجيب الزمان ؛ فقد كان على اتساعه وكبر حجمه مبطنًا من الداخل بالذهب، و كان سقفه أيضا مبطنًا بخليط من الذهب والفضة. وقد قال الله:" وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا" [الإسراء].

- السبب الثاني: **وسد الأمر لغير أهله**: توسيد الأمر لغير أهله كان من أهم الأسباب فإذا تولّى من لا يستحق منصب من المناصب، لا بد وأن تحدث الهزة في البلاد ويحدث الانهيار. ولقد تجسد هذا العامل واضحًا جليًا حين ولّى الحكم بن عَبْد الرَّحْمَن ابنه هشام بن الحكم المُؤيَّد بالله أمور الحكم في البلاد وهو ما زال طفلًا لم يتجاوز الثانية عشرة سنة بعد، فتحكم فيه الأوصياء وحدثت المكائد والمؤامرات. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا وسِّد الأمرُ إلى غير أهله، فانتظر الساعة).

- السبب الثالث: **الاعتماد في جهاد الدولة (العامرية) على الناحية المادية** ، وانتفاء روح الجهاد الحقيقية ليصبح مجردًا للمادة وجمع الغنائم. وصار الجهاد طمعا في مزيد من السبايا والأموال والأنفال.

CONFIDENTIAL

- **عصر الدولة الأموية الأول- عصر الازدهار** (138هـ- 238هـ)

وهو العصر الذي يبدأ بدخول عبد الرحمن الداخل الملقب بصقر قريش لبلاد الأندلس وسيطرته على مقاليد الأمور بعد الكثير من الاضطرابات والاقتتال انتهت بانتصاره يوم المصارة سنة 138هـ، وخلال هذا العصر الذي امتد قرنًا من الزمان حكم الأندلس أربعة رجال: عبد الرحمن الداخل وولده هشام، ثم حفيده الحكم، ثم ولد حفيده عبد الرحمن. وقد امتاز هذا بالعصر استقرار دولة الإسلام وازدهارها بعد توطيد عبد الرحمن الأموي للأمور، فورث أولاده من بعده حكمًا ثابتًا مستقرًّا قويًّا، فأنشأ الأسطول الأندلسي، وثكنات الجيش الثابتة.وقد امتاز هذا العصر المعروف بعصر الازدهار الأول بعدة أمور:

1- الثورات المتكررة التي قام بها زعماء القبائل العربية الذين رفضوا الانقياد لحكومة قرطبة المركزية، سواء في ذلك القبائل القيسيَّة المضرية التي هي في الأصل ينتمي إليها عبد الرحمن الداخل، والقبائل اليمانية، وقد قضى عبد الرحمن على هذه الثورات بمنتهى الحزم والشدة.

2- محاولة الخلافة العباسية التي قامت على أنقاض الدولة الأموية، تقويض الحكم الأموي بالأندلس، ولكنها محاولات باءت جميعها بالفشل.

3- بداية تبلور الممالك الإسبانية في الشمال، وظهور مملكة أراجون وليون في أقصى الشمال، ومحاولة هذه الممالك التحرش بالمسلمين واستعادة ملكها القديم، ولكنها كانت ما زالت وليدة وضعيفة.

4- انتشار مظاهر الترف والرفاهية في أواخر هذا العهد، وانشغل الناس بالتمدد العمراني وبناء القصور الفخمة والمتنزهات، وبدأت مجالس اللهو والغناء والمجون في الظهور.

5- بداية ثورة المستعربين (mozárabes -المسيحيون الذين عاصروا وسكنوا تحت الحكم الإسلامي في الأندلس و أطلق عليهم ذلك لكونهم تبنوا تقاليد العرب) العاتية في أواخر هذا العهد، وما ستجلبه من متاعب جمّة فيما بعد. .

CONFIDENTIAL

- **عصر الدولة الأموية الثاني- عهد التدهور الأول** (238هـ- 300هـ)

وهو العصر المعروف بعهد التدهور الأول للأندلس، وفيه حكم البلاد ثلاثة رجال كلهم من بني أمية، وفي هذا العصر اجتاحت الثورات العنيفة أنحاء الأندلس، وألقت بظلالها القاتمة على دولة الإسلام بالأندلس، ومن أهم سمات هذا العصر:

1- استقلال الكثير من الولايات خاصة الشمالية والجنوبية عن سلطة الحكومة المركزية في قرطبة.

2- عودة النعرة القبلية للظهور مرة أخرى خاصة بين العرب والبربر بعد أن خفت أيام الداخل وخلفائه، واستقل البربر بمدن وكور أندلسية كبيرة خاصة في الجنوب.

3- اشتعال ثورة المستعربين وهم أبناء الأسبان الذين لحقهم تغيير كبير بعد أن انتشر الإسلام واللغة العربية بينهم وخالطوا العرب والبربر، فنشأ جيل مشترك في الدم والنسب، وهؤلاء عُرفوا بالمولدين. أما من لم يعتنق الإسلام وبقي على نصرانيته أو يهوديته ولكنه تعلم العربية وأخذ بأسلوب العرب في الحياة فهؤلاء عُرفوا بالمستعربين، وهؤلاء سيكونون خنجرًا ماضيًا في ظهر الأندلس، وطابورًا خامسًا لأعداء الدولة عبر العصور.

- **عصر الدولة الأموية الثالث- عصر الخلافة الأموية بالأندلس** (300هـ- 368هـ)

وهو العصر الذي يطلق عليه عصر إعلان الخلافة الإسلامية الأموية في الأندلس، وقد حكمه رجلان فقط هما: عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر، وفيه عادت القوة والازدهار للأندلس بعد أن تضعضعت مكانته بفعل الثورات المتكررة، كما عادت الوحدة لدولة الإسلام التي تمزقت تحت أطماع ولاة الأقاليم من العرب والبربر، وفيه أعلن عبد الرحمن الناصر عن قيام الخلافة، وكان حكام الأندلس من قبله يلقّبون بالأمراء ويتجنبون وصف الخلافة لأسباب شرعية، وكان للناصر مبرراته لهذا الوصف. وكان التقدم والازدهار والتوسع العمراني وانتشار مجالس العلم، وكذلك القوة الخارجية والداخلية هي سمة هذا العصر اللامع.



CONFIDENTIAL

- **عصر الدولة العامرية - عصر سيطرة الوزراء** (368هـ- 399هـ)

عصر الحاجب المنصور يعد أزهي عصور الأندلس على الإطلاق، وهو العصر الذي يطلق عليه عصر سيطرة الوزراء، وفيه أصبح الحاجب المنصور بن أبي عامر هو الحاكم الفعلي للبلاد والخليفة هشام المؤيد مجرَّد صورة؛ إذ تولى الخلافة وهو صبي في العاشرة بعد وفاة أبيه الحكم المستنصر ، وكان المنصور -بحق- هو أعظم وأقوى من حكم الأندلس ولم يبلغه في ذلك ولا حتى عبد الرحمن الداخل، وذلك كله برسم الوزارة، وكان الجهاد في سبيل الله عز وجل هو السمة الغالبة على هذا العصر؛ إذ قام المنصور بغزو إسبانيا النصرانية بخمسين غزوة، لم يُهزم فيها مرة واحدة، وفتح سنة 387هـ "شانت ياقب- سانتياغو دي كومبوستيلا" في الشمال الغربي من الأندلس وكعبة إسبانيا النصرانية، وفتح برشلونة، وأحكم قبضته على الأندلس كلها لأوَّل مرة منذ الفتح. وتصدى المنصور للمؤامرات الكثيرة التي حيكت ضده. لكن في عام 379 هـ، تعاون عبد الرحمن بن المطرف التجيبي صاحب سرقسطة مع عبد الله بن الحاجب المنصور على الانقلاب على المنصور على أن يُقسّما الملك بينهما فتكون الثغور لعبد الرحمن والبقية لعبد الله، إلا أن المنصور علم بما يدبرانه، فدبّر مكيدة لعبد الرحمن قُتل على إثرها في ربيع الأول 379 هـ، وحبس ابنه الذي استطاع أن يفر من محبسه، ولجأ إلى غارسيا فرناندیث كونت قشتالة، فغزاه المنصور وطالبه بابنه فرفض غارسيا، فهزمه واجتاح المنصور ألبة، واستولى على وخشمة، فاضطر غارسيا لمفاوضة المنصور وقبول شرطه بتسليم ابنه عبد الله، ثم دسّ المنصور على ابنه لقتله وذلك 14 جمادى الآخرة 380 هـ، ثم بعث المنصور برأس ابنه وكتاب الفتح إلى الخليفة، فازدادت رهبة الناس من المنصور بقتله ابنه. في عام 381 هـ، قدّم المنصور ابنه عبد الملك للولاية، ونزل له عن لقب الحجابة، كما استوزر ابنه عبد الرحمن. اتجه المنصور كذلك، للاستكثار من جند البربر في جيشه، وخاصة من زناتة الذين عبروا إلى الأندلس، واتخذ منهم جندًا كثيفًا. ثم مات سنة 392هـ فخلفه ابنه عبد الملك، فسار على نهج أبيه حتى سنة 399هـ، وبعدها دخلت الأندلس النفق المظلم الطويل.

- **عصر الفوضى وسقوط الخلافة الأموية** (399هـ-422هـ)

تعاقب على حكم الأندلس خلال هذا العصر العديد من الخلفاء الضعفاء يزيد عددهم على عدد من تولوا طيلة القرون الثلاثة السابقة، وضاعت هيبة الدولة الأموية، وظهرت فكرة الاستعانة بنصارى الشمال في الاقتتال على الملك، وقويت شوكة البربر واستقلوا بالعدد من ولايات الأندلس خاصة في الجنوب، بل قامت لهم دولة قوية عُرفت باسم دولة بني حمود.وكانت أهم سمة لهذا العصر:

1) عودة العصبية القبلية المقيتة بين العرب والبربر.
2) ظهور لاعب جديد في سير الأحداث، الصقالبة. هم مجموعة من الرقيق المُنحدِرة من أصول مختلفة عاشت في المناطق المجاورة لبلاد الخَزَر، وقد سكن بعضهم رُوسيا بالقُرب من نهر الفولغا وشمال قارّة أوروبا، و استكثر الحكم المستنصر من استعمالهم؛ ليعادل بهم نفوذ العرب والبربر. زاد نفوذ، وثراء الصقالبة في عهد الحَاكم المُستنصِر، حتى أنّهم حاولوا إخفاء نبأ وفاة المُستنصِر؛ بهدف اختيار حاكم يرضَون عنه، وحاكوا مؤامرة ضدّ هشام المُؤيّد؛ لتنحيته، وتولية الأمير المُغير بن عبدالرحمن الناصر، إلّا أنّهم لم يفلحوا؛ إذ تمّت تصفية العديد منهم، ونُفِي بعضهم الآخر إلى خارج قُرطبة. بعد أن انهارت الدولة الأمويّة في الأندلس، توجَّه الصقالبة إلى شرق الأندلس، وأنشأوا دُويلات صقلبيّة فيها. وقد استقل هؤلاء الصقالبة فيما بعد بحكم جزائر الأندلس الشرقية.

CONFIDENTIAL

## **سقوط** (استرجاع) **برشلونة**

برشلونة يعتبرها جغرافيّ العرب أنها من الأندلس. في بداية الفتح الإسلامي كانت كونتية برشلونة تحظى بدعم من مملكة فرنسا و الإمبراطورية البيزنطية (الرومانية الشرقية) ولم تتمكن الخلافة الأموية من التوغل فيها. بعد الصِّدام العسكري (**معركة المُصَارَة أو المُسَارَة**- 138هـ- 756م) بين عبدُ الرحمٰن الداخل (وأنصاره من الموالي و من اليمنيين وغيرهم) و يُوسُف الفهري (وأنصاره من الفهريَّة والقيسيَّة) انتهت بنصر عبد الرحمٰن، شهد هذا العهد الأموي ثورات متكررة على الحكم في شتى أرجاء الأندلس منها ثورة البربر بِقيادة شقنة بن عبد الواحد المكناسي-أوسفين الفاطميّ- لثماني سنوات (152-160هـ \ 769-777م). ثم مُحاولة الفرنجة بقيادة الإمبراطور شارلمان غزو الأندلُس بعد أن اتفق مع سُليمان الأعرابي حاكم برشلونة ومعه الحُسين بن يحيى الأنصاري زعيم سرقسطة اللذين ثارا على السُلطة المركزيَّة، لكنَّ المُحاولة فشلت، وأُخذ الأعرابي أسيرًا إلى بلاد الفرنجة، وقُتل الأنصاري. عاود الفرنجة هُجومهم على الأندلُس بعد بضع سنوات، وفي هذه المرَّة تمكنوا من السيطرة على برشلونة، فكانت تلك ضربةً قاسية للمُسلمين، بحيث فقدوا شطرًا هامًا من ثُغورهم القريبة من جبال البرينيه، وفشلت جميع مُحاولاتهم في استعادتها. بالمُقابل نجح الفرنجة في فرض سيطرتهم على الأراضي الإسلاميَّة المُمتدَّة على طول الحافَّة الجنوبيَّة من تلك الجبال، واتخذوا المدينة قاعدة انطلاق للاستيلاء على المُدن المُجاورة. وأصبحت "برشلونة" من أوائل المدائن المسلمة التي عادت نهائيا إلى المسيحيين. لكن في عهد الحاجب المنصور قرر هو الهجوم عليها في 978م ثم في 985 م لأنه كان متيقن أن لوثير ملك فرنسا كان مشغولا في معارك أخرى.

CONFIDENTIAL

## ت. أسباب السقوط في عهد ملوك الطوائف (422هـ- 483هـ)

هذا العصر هو العصر المشئوم، الذي تمزقت فيه دولة الإسلام في الأندلس لدويلات صغيرة أغلبها ضعيف، يحكم هذه الدويلات كل طامع وطامح ومستقوٍ بأسرة أو عشيرة أو عصبية، وقد بلغ تعداد هذه الدويلات اثنتين وعشرين دويلة، فالبربر في الجنوب، والصقالبة بالشرق، وأما البقيَّة الباقية فقد ذهبت إلى أيدي محدثي النعم أو بعض الأسر القديمة.

### أسباب سقوط ملوك الطوائف

- **النزاعات الإخوية**

اندلاع حروب داخلية: كانت الأندلس في عهد ملوك الطوائف مقسمة إلى عدد من الدويلات وكانت أوضاعها في غاية السوء؛ فقد كانت هناك نزاعات بين الإخوة فيما بينهم، وذلك من أجل توسيع رقعة كل دويلة على حساب الأخرى؛ الأمر الذي تطور إلى أن يستعين البعض بنصارى الشمال في حربه ضد المسلمين. استجداء النصارى والاستقواء بهم(مأساة بربُشْتَر, مأساة بَلَنْسِيَّة) كانت كارثة محققة وجريمة كبرى اقترفها أمراء بعض هذه الدويلات. وكانت رذيلة الاستعانة بالكفار على المسلمين من أسوأ سمات هذا العهد المشئوم؛ مما أدى لضياع عقيدة الولاء والبراء عند مسلمي هذا العهد إلاّ من رحم الله عز وجل.. قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ" {المائدة:51،52}.

- **القبول بدفع الجزية للنصارى**

قبل أمراء المؤمنين في هذه الفترة دفع الجزية للنصارى، لألفونسو السادس حاكم إمارة "قشتالة"،حتى يحفظ لهم أماكنهم وبقاءهم على الحكم في بلادهم. إمارة "قشتالة" التي توسعت على حساب المسلمين في عهد ملوك الطوائف



CONFIDENTIAL

وضمّت إليها أيضًا مملكة "ليون"، فأصبحت "قشتالة" و"ليون" مملكة واحدة تحت زعامة ألفونسو السادس أكبر الحكام النصارى في ذلك الوقت. وكان ملك "نافار" جد "ألفونسو السادس" قد أرسل ابنته هديه إلى المنصور حتى يأمن جانبه، وهي أم عبد الرحمن بن المنصور الذي انتهت بحكمه الدولة العامرية .كان هناك من أمراء الأندلس من يرفض هذه الأوضاع ولا يقبل أن يدفع الجزية للنصارى(لألفونسو السادس) مثل المتوكل بن الأفطس (مملكة بطليوس الصغيرة)، وكان هناك علماء أيضًا يرفضون هذه الأوضاع، وينادون بالإصلاح مثل الفقيه الإسلامي ابن حزم، و ابن حيان، وأبو الوليد الباجي، وغيرهم من أبناء الأندلس نفسها، وكان من المستحيل جمع وتوحيد المسلمين. ولم يتجّرأ ألفونسو السادس على أن يغزو مملكة بطليوس بمجرد أن لوّح بن الأفطس بجهاد لا يرضي فيه إلا بإحدى الحسنيين، نصر أو شهادة ، فأعزّ الإسلامُ ورفع من شأن "ا بن الأفطس" ومن معه من الجنود القليلين حين رجعوا إليه. باقي أمراء الأندلس كان كل هدفهم هو الدنيا والتنافس بين بعضهم البعض والاستعانة بالنصارى، وكانت نتيجة هذا التخاذل هي سقوط طُلَيْطِلَة، أما النتيجة الثانية لهذا التخاذل هي حصار إشبيلية.

- **فساد المجتمع**

انتشرت المفاسد والانحراف الأخلاقي في طبقة ملوك الطوائف، وانعكس ذلك سلبًا على الرعايا؛ حيث انتشرت هذه المفاسد بين المسلمين، وعمت النعومة والرفاهية بين المسلمين؛ مما أورثهم ضعفًا وجبنًا وغفلة عما يحيكه نصارى الشمال.

- **فساد الإعلام**

كانت هناك أمور مخجلة في المجتمع الأندلسي في ذلك الوقت، فالإعلام السائد في هذه الفترة وهو الشعر الذي يمجّد فيه الشعراءُ القادة أو الأمراء، ويصورونهم وكأنهم أنصاف آلهة. و كان هناك أيضا تحكُّم وضغط شديدين من قِبل الجيوش التي تتبع الحكام على الشعوب، فكانوا يحكمونهم بالحديد والنار؛



CONFIDENTIAL

فلا يستطيعون أن ينبثوا بمخالفة أو اعتراض أمام الطواغيت؛ قال تعالى: " فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" {الزُّخرف:54}.

- **الإحجام عن إنجاد المسلمين**

حدث النصارى من المآسي ما تقشعر منه الأبدان وتنخلع منه القلوب؛ والمسلمون في غمرة ساهون .دخلوا بربُشْتَر ( مدينة عظيمة في مملكة سرقسطة شرقي) سنة 456 هـ- 1064 م ، وفي اليوم الأول قتلوا من المسلمين أربعين ألفًا، وسبوا سبعة آلاف فتاة بكر منتخبة وأعطين هدية لملك القسطنطينية، وأحدثوا من المآسي ما تقشعر منه الأبدان وتنخلع منه القلوب؛ إذ كانوا يعتدون على البكر أمام أبيها وعلى الثيِّب أمام زوجها, والمسلمون في الداخل يستغيثون بكل أمراء المؤمنين في كل أرض الأندلس، ولكن لا حراك. وصف ابن حيان القرطبي الحدث قائلاً: «كانوا يتولعون بهتك حرم أسراهم وبناتهم بحضرتهم، وعلى أعينهم إبلاغاً في نكايتهم، يغشون الثيب، ويفتضون البكر، وزوج تلك، وأبو هذه، موثق بقيد أسره، ناظر إلى سخنة عينيه، فعينه تدمع، ونفسه يتقطع» . ومثلها أيضًا كانت مأساة بَلَنْسِيَّة في سنة 456 هـ- 1064 م ، حيث قتل ستون ألف مسلم في هجوم للنصارى عليها. ولم يتحرك من المسلمين أحد. و بعد محاولة ألفونسو السادس حصار إشبيلية هدده المعتمد على الله بن عباد إن لم ينسحب سيستعين بالمرابطين(مجردالتلويح بالاستعانة)، فانسحب على الفور.

- **تنامي الشعور بالقومية**

تنامي الشعور بالقومية الأندلسية عند أهل الأندلس، ورغبتهم في الاستقلال تحت قومية خاصة بهم، بعيدًا عن أي ارتباط مع العالم الإسلامي.

- **تنامي قوة النصارى**

تنامت قوة نصارى الشمال وتوحدت رايتهم تحت قيادة رجل شديد البأس هو ألفونسو السادس الذي حقق نصرًا كبيرًا ومعنويًّا على مسلمي الأندلس، عندما



CONFIDENTIAL

استولى على مدينة طليطلة العريقة سنة 476هـ وهي عاصمة إسبانيا القديمة، ودشَّن بذلك حرب الاسترداد المشهورة، والتي استمرت رحاها تدور حتى سقوط الأندلس.

## سقوط طليطلة (توليدو) (سنة 478 هـ - 1084م- في شهر محرم الحرام)

قيل أنه قبل سقوط "طُلَيْطِلَة" استقبل المقتدر بالله حاكم "طُلَيْطِلَة"، ملك من ملوك النصارى(ألفونسو السادس بن فردلند) مدة تسعة أشهر كاملة، فقد لجأ إلى (صديقه) المقتدر بالله حيث كان قد فرّ هاربًا من جرّاء خلاف حدث معه في بلاد النصارى، فكان إيواء طليطلة لألفونسو السادس– أيام هربه– نقمة عليها، وسبباً لسقوطها. إذ قيل أنه أخذ يتجول به في كل أنحاء البلد وفي كل الحصون وكل المداخل، و تذكر بعض الروايات أن ألفونسو استمع ذات يوم وهو متظاهر بالنوم إلى حديث الحاكم(المأمون)– الذي أعطاه ما أعطاه – مع وزرائه في كيفية الدفاع عن طليطلة واحتمال مهاجمة النصارى لها، واستيلائهم عليها، وكيف يمكن ذلك؟ وبأية وسيلة؟. وحين عاد الرجل النصراني إلى بلاده حاكمًا كان أول خطوة خطاها هي الهجوم على طُلَيْطِلَة وعاث ألفونسو فساداً في ممتلكات طليطلة سبع سنوات كاملات ثم قام بضرب الحصار على المدينة في 1084 ، وضيّق عليها الخناق. ولم يقم أحد بمساعدة اخوانهم المسلمين الا المتوكل بن الافطس الذي ارسل جيش كبير لنجدة توليدو لكنه تعرض لهزيمة ساحقة ماحقة من الجيش المسيحي واستمر الحصار 9 شهور. استبد الجوع بالناس ولم تفلح محاولات المسلمين الوصول لتسوية ولم يرضي الفونسو سوي بتسلم المدينة كاملة، وفعلا تم ذلك في 25 مايو1085 فقام بفتحها وضمها إلى بلاده. وتوجة ألفونسو الي المسجد الكبير الذي حولة الي كاتدرائية وصلي فية قداس الشكر ، وأعطى الأمان لأهلها بضمان حرياتهم واحترام شعائر دينهم وحقوقهم، وصارت العاصمة لمملكة قشتالة المسيحية، فكان كما أخبر سبحانه وتعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ



CONFIDENTIAL

رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ" {الممتحنة:1}.
فضَلّ المقتدر بالله سواء السبيل، وأَسَرّ لملك النصارى بأسرارها، فسقطت طُلَيْطِلَة.
ثم أنى يفي بالعهود صليبي متعصب، فقد ارتكب ألفونسو بعد شهرين فقط بحق أهل طليطلة الأفاعيل، وحولت المساجد ومن بينها الجامع الكبير إلى كنائس.وقد نظمت أشعار كثيرة لما سقطت طليطلة، تبين الواقع المؤلم الذي أصاب المسلمين، وتلقي اللوم على تقصير ملوك الطوائف ومسؤوليتهم، إنما كان هذا سببه السياسات المنحرفة التي يمارسونها، فقد أورد المقري قصيدة طويلة لشاعر أغفل اسمه في المدينة المنكوبة :

لثكلك كيف تبتسم الثغور؟ سروراً بعدما سُبيتْ ثغورُ
لقد قُصمتْ ظهور حين قالوا أميرُ الكافرينَ له ظهورُ
طليطلة أباح الكفر منها حِماها إنّ ذا نبأ كبيرُ
مساجدها كنائس، أيُّ قلب على هذا يَقَرَّ ولا يطيرُ
فيا أسفاه، يا أسفاهُ حزناً يكرِّرُ ما تكررت الدهورُ
يطولُ عليَّ ليلي، ربَّ خطب يطول لهوله الليلُ القصيرُ
وقيل تجمَّعوا الفراقِ شمل طليطلة تملكها الكَفورُ
ولا تجنحْ إلى سلم، وحارب عسى أن يُجبر العظمُ الكسيرُ

بعد سقوط طُلَيْطِلَة سنة 478 هـ-1085 م، اتفق أمراء الأندلس المنقسمين على أنفسهم- وكانوا يعلمون أنه إن عاجلًا أو آجلًا ستسقط بقية المدن-على عقد مؤتمر القمة الأندلسي الأول، وكان أول مؤتمر يجتمعون فيه للاتفاق على رأي موحّد تجاه هذا الوضع. كان أول قرارات ذلك المؤتمر هو التنديد بشدة بالاحتلال القشتالي لطُلَيْطِلَة، وفور موافقة الأمراء الثلاثة: المُعتمد ابن عباد و أبن الأفطس و بن بلقين صاحب غرناطة (في حين رفض الباقون- فقشتالة دولة صديقة لهم!) جعلوا منهم وفدًا عظيمًا يضمُّ العلماء والوزراء، ليذهب إلى بلاد المغرب العربي، ويطلب العون من زعيم المرابطين هناك- يوسف بن تاشفين- لينقذهم من النصارى المتربصين.

**المُعتمد بن عبَّاد** (المعتمد على الله، أبو القاسم) -(431 هـ - 488 هـ / 1040 - 1095م) :

- **هو** محمد بن عبَّاد، ولد في باجة (إقليم في البرتغال)، من أسرة (بني عباد) تعود أصولها إلى مدينة العريش في سيناء

- **جده** : أبو القاسم محمد بن عباد اللخمي استقلّ بإشبيلية في مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).ففي عام 414 هـ، ثار أهل إشبيلية على بن حمود، وأخرجوه و ولداه منها، ووأَّوا على أنفسهم ثلاثةٌ من كبار قضاة إشبيلية، بن عباد و الألهاني و بن الحسن الزبيدي. إلا إنَّ أبا القاسم استبدَّ مع الوقت بالحكم، فأزاح زميليه وأصبح الحاكم الوحيد لإشبيلية. حكم أبو القاسم إشبيلية لفترة، ثم خلفه فيها ابنه أبو عمرو المعتضد بن عباد، وأخيراً حفيده المعتمد .

- **والده**: المعتضد بن عباد، دخل في العديد من الصراعات مع ملوك الطوائف الآخرين بالأندلس، وكان حاكماً قوياً صارماً، وكان أيضاً مستبد. اعتقل الكثير من قادته وقتلهم،وكان أول ما فعله عقب تولّيه الحكم تصفية وزير والده حبيب. يُروَى أنه قتل ابنه البكر إسماعيل-الذي خاض معظم حروب والده في سبيل توطيد أركان الدولة- بيديه حين تآمر عليه فجمع بعض حرسه وحاول التسلل إلى القصر لقتل والده ليلاً، إلا إنَّ المعتضد توقع ذلك .

- **زواجه**: في أثناء قيادة الجيش والاستيلاء علي مدينة شلب، تعرَّف المعتمد على شاعره أبو بكر بن عمار بن الحسين (ابن عمَّار)، فتوطَّدت العلاقة بسرعةٍ بينهما و أصبح منذ ذلك الحين من المقرّبين إليه، وكان له دورٌ كبيرٌ في إدارة دولته. وما إن تولَّى المعتمد حكم شلب حتى عيَّن ابن عمَّار وزيراً له. تعرَّف أيضاً على جارية لرميك بن حجاج واسمها اعتماد(اعتماد الرميكية) في أحد متنزهات إشبيلية المطلة على نهر الوادي الكبير، فذهب إلى صاحبها واشتراها منه وتزوجها، وكانت أقرب زوجات المعتمد إليه. ومن أشهر قصص تبذيره لأجل إرضاءها يومٌ أرادت فيه أن تسير على الطين، أمر بأن يُسحَق لها الطيب وتُغطَّى به كل ساحة القصر، ثم تُصَبُّ عليه الغرابيل و ماء الورد حتى أصبح كالطين، فسارت عليه الرميكية مع جواريها .

- **الحكم** : خلف المعتمد والده في حكم إشبيلية في جمادى الآخرة 461 هـ (1069م)، عندما كان في الثلاثين من عمره، كثالث وآخر ملوك بني عبَّاد في الأندلس في عصر ملوك الطوائف، قبل أن يقضي على إمارته المرابطون. كان ملكاً لإشبيلية ثم وسَّع ملكه فاستولى على بلنسية ومرسية وقرطبة، وأصبح من أقوى ملوك الطوائف فأخذ الأمراء الآخرون يجلبون إليه الهدايا ويدفعون له الضرائب. وكان يقضي معظم وقته إما في مجالسة الشعراء أو مع جواريه الكثيرات، وكان يغدق عليهم الكثير من الأموال. قيل أنه امتلك في الأندلس 200 مدينة وحصن، وأنه ولد له 173 ولداً. وما إن تولَّى المعتمد الحكم،عيَّن ابن عمَّار كبير وزرائه، وكان يعهد إليه بمهام السفارات ويؤثره على خاصته ويبوح له بأسراره .

- **ابن عمَّار**: تمتع ابن عمار بشخصية ميكافيللية وافرة الدهاء لا تتردد في الغدر، وأجاد شعر الهجاء حتى كان أمراء الأندلس يخشونه لبذاءة لسانه، وساهم في تعاظم ملك بني عباد سواء بالمشورة أو التنفيذ أو الحيلة ، فذاع صيته في الأندلس وكان محل إعجاب ألفونسو السادس حتى أنه كان يقول عنه "هو رجل الجزيرة". بعد ما سقطت مرسية تحت وطأة الحصار والمجاعة وفتحت أبوابها بالخيانة وأخذت البيعة للمعتمد، انتهز ابن عمار الفرصة واستقل بحكم مرسية،وتصرف فيها تصرّف الملوك. كفر ابن عمار بفضل المعتمد عليه، وكتب قصيدة هجا فيها المعتمد و شتم زوجته اعتماد الرميكية. لكن غُدِرَ به في حصن شقورة -شمال مرسية، فقبض عليه أصحاب الحصن بخديعة، وسجنوه، وعرضوا بيعه لمن يدفع أكبر ثمنٍ فقرَّر المعتمد شراءه. اقتيد ابن عمار إلى قرطبة مَهيناً مُقيَّداً على ظهر بغل وزجَّ به في سجن إشبيلية. وصل للمعتمد ادعاء ابن عمار أنه سيخرج لا محالة (في رسالة أبلغ فيها ابنه الرشيد بالعفو عنه) والشائعات بأنَّه يريد التمرُّد بعد خروجه ، فغضب غضباً شديداً،وجاءه المعتمد ثائراً ومعه فأسٌ كبير (أهداها إليه ألفونسو السادس)، و انهال عليه فقتله، ثم أمر بغسله وتكفينه، ودُفِنَ في القصر .

- **نهاية حكمه**: بعد معركة الزلاقة في رجب عام 479هـ(أكتوبر 1086م)، حيث اجتمعت قوات مختلف ملوك الطوائف لتشارك في المعركة مع جيش ابن تاشفين، دعا المعتمد ابن تاشفين إلى النزول عنده. أُخِذَ ابن تاشفين بجمال إشبيلية، وأغدق عليه المعتمد فأراه ترفه في المأكل والمشرب والعيش، لكنه انزعج من أمر المعتمد لأنه مُضَيِّعٌ لما في يديه من أموال لا يمكن أخذها بهذا القدر من الناس على وجه العدل، بل بالظُّلم، وأخرجت في هذه النزَّهات، وهذا من أفحش الاستهتار. عاد ابن تاشفين إلى الأندلس في سنة 484هـ بعد أن استغاث به أهل الأندلس للقضاء على حكم ملوك الطوائف، وأيَّده العلماء والفقهاء في وجوب ذلك، فقرَّر بن تاشفين أن يضمُّ إمارات ملوك الطوائف إلى الدولة المرابطية بالقوة، فحاصر غرناطة واستولى عليها وقَتَلَ واليها بن المعتمد (المأمون)، وهربت زوجته زائدة إلى قشتالة حيث تنصرت ولديها وتزوجت ألفونسو السادس، وكذلك قتل ابن المعتمد الراضي في رندة. ثم حاصرت جيوش المرابطين إشبيلية، وأصيب المعتمد باليأس، فراسل ألفونسو السادس ملك قشتالة، وطلب منه إنقاذه، فأرسل جيشاً كبيراً تمكَّن المرابطون من هزيمته عند حصن المدور. تفاجأ المعتمد من ذلك، وكان يؤمن بالتنجيم و يعقد آمالاً كبيرة على نبوءات منجّمه الخولاني، ثم سقطت إشبيلية في رجب عام 484 هـ وقتل أربعة من أبناء المعتمد خلال المعركة. اقتيد المعتمد وعائلته أسرى، و تم سبي إبنته بثينة، واشتراها بعد سبيها تاجر من إشبيلية .

- **النفي**: قرَّر بن تاشفينَ نفي المعتمد وعائلته إلى أغمات- جنوب وسط المغرب بالقرب من مراكش، حيث قضى آخر أيام حياته في الأسر بظروفٍ مزرية ومعاملة سيئة، ولعلَّه ممَّا ساهم في إساءة معاملته أن ابنه عبد الجبار حاول شنَّ ثورة على المرابطين بعد سقوط إمارة بني عباد. توفّي في أغمات في شوال عام 488هـ (أكتوبر 1095م)،عن عمر 56 عاماً، وصُلِّيت عليه في جنازته بأغ**70** صلاة الغريب. ضريح المعتمد بن عباد في أغمات يضم قبر زوجته اعتماد الرميكية وابنهما أبو سليمان الربيع، وتزينها بعض الأبيات الشعرية التى نظمها المعتمد فى رثاء حاله، ومنها: قبر الغريب سقاك الرائح الغادي ** حقا ظفرت بأشلاء ابن عبادِ.

## ث. عوامل السقوط في دولة المرابطين ( 484هـ- 539هـ)

في هذا العصر استردت دولة الإسلام في الأندلس شيئًا من قوتها، وذلك بعد استنجاد ملوك الطوائف بالدولة المرابطية التي تحكم الشمال الإفريقي حتى قلب الصحراء الكبرى ، وعاهلها الأمير يوسف بن تاشفين الذي استجاب لصريخ مسلمي الأندلس، فعبر بجيوشه الجرَّارة البحر وانتصر على صليبيي إسبانيا في الزلاقة سنة 479هـ، وردع النصارى وقمع خطرهم، ثم عاد إلى المغرب. ثم ما لبث أن عاد بعد أن استغاث به أهل الأندلس للقضاء على حكم ملوك الطوائف، وأيَّده العلماء والفقهاء في وجوب ذلك، وبالفعل أسقط حكم ملوك الطوائف سنة 484هـ. كان المرابطون يتميزون بخشونة العيش وبساطة الحياة، فلقد كانوا على فطرتهم البدوية وحياة الصحراء؛ مما حدا بقلة من وجهاء الأندلس الذين اعتادوا حياة الترف والدعة لأنْ يتذمروا على حكم المرابطين. ولم يطل عهد المرابطين بسبب الثورة الجامحة التي قام بها أتباع مدعي المهدية ابن تومرت الملقبين بالموحدين في بلاد المغرب، والذين شنوا حربًا ضارية ضد المرابطين منذ سنة 515هـ، حتى أسقطوهم سنة 539هـ.

### أسباب سقوط المرابطين

- **غياب الفهم الصحيح لتعاليم الإسلام**

كان اتّجاه العلماء في ذلك الوقت إلى التعمق في الفروع وإهمال الأصول.. ولم يفهموا أو لم يستطيعوا أن يتفهموا حاجة العامة، كما لم تعرف العامة ما يتنطع به العلماء.

- **عزلة العلماء عن مجتمعاتهم**

باتجاه العلماء إلى دقائق الأمور من الفروع لم يعد يشغلهم حال مجتمعاتهم، ولم يعودوا هم يعرفون شيئا عما يدور فيها وما يحلّ بها. فكانت الخمور تُباع وتُشترى بل وتُصنّع في البلاد ، وكانت الضرائب الباهظة تُفرض على الناس غير الزكاة وبغير وجه حق، وكان الظلم من الولاة لأفراد الشعب ولا يتكلم من العلماء أحد (من بعد خمسمائة سنة من الهجرة).



CONFIDENTIAL

- **كثرة الذنوب والمعاصي**

المرابطون هم أبطال مجاهدون، لا يهابون الموت، أقاموا دولة إسلامية تربّعت على المغرب العربي وما تحته. لكن كثرت الذنوب والمعاصي في دولة المرابطين، وكثرة الذنوب كان أمرًا طبيعيًا خاصّة بعد أن فُتحت البلاد وكثرت الأموال. وواقع الأمر أن العلماء هم الذين يقع على عاتقهم العبء الأكبر من هذا التدني وذاك الانحدار، إذ نراهم وقد انشغلوا بفرعيات الأمور وأغفلوا أساسياتها. فقد كانت النساء تخرج سافرات بلا حجاب والعلماء لاهون بالحديث عن المرجئة والمعطّلة وغيرها من أمور الجدال العقيمة والفرقة المقيتة، ويعتقدون أن مثل هذه الأمور هي التي يجب أن يُشغَل بها المسلمون، وغيرها هي الأقل أهمية من وجهة نظرهم.

- **فتنة الدنيا**

وإن ظلّ أمر الجهاد قائمًا: المرابطون فُتنوا بالدنيا، و جعلوا جلّ اهتمامهم التركيز على جانب واحد من جوانب الإسلام وتركوا أو أهملوا الجوانب الأخرى، فقد انشغل المرابطون في أرض الأندلس وفي بلاد المغرب وما حولها من البلاد، انشغلوا بالجهاد في سبيل الله عن تعليم الناس وتثقيفهم أمور دينهم. المرابطون شُغلوا بالأمور الخارجية عن الأمور الداخلية،وشُغل المرابطون بالجهاد عن إدارة الحكم وعن السياسة داخل البلاد.

- **الأزمة الاقتصادية**

حدثت أزمة اقتصاديّة حادة في دولة المرابطين؛ حيث غاب المطر لسنوات وسنوات، فيبست الأرض وجفّ الزرع وهلكت الدواب، و هذا ليس من قبيل المصادفة البحتة ، لكن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] ..{الأعراف:96}

## ج. عوامل السقوط في دولة الموحدين (539هـ- 630هـ)

الموحدون هم أتباع مدعي المهدية محمد بن تومرت، وهم الذين حاربوا المرابطين لأكثر من 25 سنة حتى أسقطوا دولتهم العريقة سنة 539هـ، وورثوا مملكتهم الواسعة التي تشمل بلاد المغرب والأندلس، وكانوا يجبرون الناس على اتباع عقيدتهم التي هي خليط من الاعتزال والتجهم والتعطيل والأشعرية، ولكنهم ساروا على نهج المرابطين في محاربة الممالك الإسبانية، وحققوا عليهم انتصارات كبيرة، أهمها نصر **معركة الأرك** سنة 591هـ، وكان يماثل نصر الزلاقة. ولكن عاد الصليبيون وحققوا انتصارًا ساحقًا على الموحدين في **معركة العقاب** سنة 609هـ، هددوا به قوة الموحدين، وعجّلوا بسقوط دولتهم. وكانت ثورات الأندلسيين المتتالية على حكم الموحدين هي سمة هذا العصر، ولعلّ فساد عقيدة هذه الدولة كان السبب الرئيسي لسقوط هذه الدولة.

### أسباب سقوط الموحدين

- **قيام الحملة الصليبيَّة**

عقدت هدنة بعد موقعة الأرك بين المسلمين و ملك قشتالة ألفونسو الثامن، لكن الفونسو استغلها في تقوية بلاده ومحالفة أمراء النصارى. وحين وجد نفسه مستعدا أغار على بلاد جيان وبياسة وأجزاء من مرسية. فاضطر الملك "محمد الناصر" الذي خلف والده المنصور في إفريقيا إلى الذهاب إلى الأندلس لغزو قشتالة فعبر البحر إلى إشبيلية ومنها اتجه إلى قلعة "شلطبرة" واستولى عليها بعد حصار دام 8 شهور. ولكن الفونسو دعا البابا أنوسنت الثالث بروما إلى اعلان الحرب الصليبية ضد الأندلس; فعقد الصُلح، واتفق الجميع (قشتالة وليون ونبرَّة وأراگون والپرتغال) على غزو الأندلُس والتعاون على قتال المُسلمين فتوافد المُتطوعون وفُرسان الجمعيَّات الدينيَّة من كافَّة أنحاء المُدن الإسپانيَّة والفرنسيَّة بِقيادة رجال الدين، وقد تقلَّدوا شارة الصليب واحتشد في طُليطلة أكثر من مائتيّ ألف مُقاتل. وكان من نتاج ذلك ان المُوحدين تلقوا هزيمة قاسية على يد النصرانيين في **معركة حصن العقاب**



CONFIDENTIAL

سنة 1212م (17يوليو)-15 صفر 609هـ, وانسحبوا عائدين إلى إشبيلية ولم تقم للمسلمين بالأندلس بعد هذه المعركة قائمة. وبعد سنة 1213م بدأت دولة المُوحدين تتهاوى بسرعة مع سقوط معظم الأندلس في أيدي النصرانيين عام 1228م ، وفي إفريقية سقوط (تونس) في أيدي الحفصيين ، والمغرب الأوسط (الجزائر) في أيدي بني عبد الواد - الزيانيون- (1229م - 1236م), ثم فقدوا السيطرة على المغرب الأقصى وانتهى أمرهم سنة 1269م بعد أن قضى عليهم المرينيون نهائياً.

- **فتنة الدنيا و نزاعات الإخوة**

بعد وفاة مُحمَّد الناصر توزَّع الحُكمُ في الأندلُس بين ثلاثة من إخوته، هُم: عبدُ الله في مرسية، وأبو الحسن في غرناطة، وأبو العلاء إدريس في قُرطُبة. وسُرعان ما دبَّت الخلافات بين هؤلاء، وطمع كُلٌ منهم بأراضي الآخر، فاندلعت الثورات المُتتالية والحُروب المُتقطعة بينهم، فتحالف الأمير عبد الله مع فرناندو الثالث ملك قشتالة ضدَّ خُصومه،ولم يلبث أن خرج أبو العلاء إدريس على حُكم أخيه-عبدُ الله- أثناء غيبة الأخير في المغرب، فخلع طاعته ودعا لِنفسه في إشبيلية، ثُمَّ كتب إلى أشياخ المُوحدين في مُرَّاكش يدعوهم إلى بيعته والفتك بأخيه، فاقتحموا عليه القصر وقتلوه وعقدوا البيعة له. لكن خِلافًا نشب بين الطرفين وسُرعان ما تطوَّر الأمر إلى حربٍ أهليَّةٍ خُلع أبو العلاء بنتيجتها ونُصب ابنُ أخيه فاستشاط أبي العلاء في الأندلُس غضبًا،وعبر البحر إلى المغرب مع فاستعاد عرشه وألغى بعض النُظم المُوحديَّة، منها إبطال عصمة المهدي ومحو اسمه من الخِطبة ، فكفَّرهُ الشعب. وأدَّت هذه الحركة إلى انفصال المغرب وأفريقية عن الدولة المُوحديَّة .وخُروج مُعظم مُدن الأندلُس على حُكم المُوحدين. و في الوقت الذي اندلعت فيه الثورات في رُبوع الأندلُس، كانت الممالك المسيحيَّة تسيرُ بِخُطىً ثابتة، وتتطلَّع بأمل إلى انتزاع كافَّة المُدن الأندلُسيَّة من أيدي المُسلمين، مُستغلَّةً انهيار جبهتهم الدفاعيَّة وتراجع قُوَّتهم العسكريَّة.

## سقوط قرطبة

كانت هزيمة الموحدين سنة 609هـ بالأندلس في **معركة العقاب**، إيذانا بانهيار الأندلس. في سنة (633هـ\1236م) وبعد حصار طال عدة شهور، وبعد استغاثة بابن هود الذي كان قد استقل بدولته جنوب وشرق الأندلس، والذي لم يعر اهتماما لهذه الاستغاثات؛ بسبب كونه منشغلا بحرب ابن الأحمر، ذلك الأخير الذي كان قد استقل -أيضا- بجزء آخر من بلاد الأندلس، في كل هذه الظروف سقطت قرطبة في شوال 633هـ يونيه 1236، وفي يوم سقوط قرطبة تحول مسجدها الجامع الكبير إلى كنيسة، وما زال كنيسة إلى اليوم.

في أوائل سنة 1236م (ربيع الثاني 633 هـ) خرج الفرسان القشتاليين من شرقي قرطبة وساروا صوبها ، فأشرفوا عليها حينما دخل الليل وأسروا بعض من المسلمين (قيل أن بعضهم كان قد تنصر) الساخطين على زعمائهم، وتفاهموا معهم على إحداث ثلمة في سور الشرقية، واستطاعوا بهذه الطريقة أن يقتحموا السوروأن يستولوا على الأبراج، وقتل من أهل قرطبة الشرقية عدد كبير. وما كادت هذه الأنباء تصل إلى فرناندو الثالث ملك قشتالة فقصد من فوره إلى قرطبة و معه مائتي فارس من الأشراف ولم يلق بالا إلى اتفاق الهدنة مع ابن هود وقرطبة تدين بطاعته. القرطبيون اعتزموا منذ اللحظة الأولى الدفاع عن مدينتهم وحاضرتهم، ولكن كانت تنقصهم القيادة الحازمة، وكان ينقصهم بالأخص اجتماع الكلمة. أما ابن هود، وهو صاحب الولاية الشرعية على قرطبة وكان على علم بالخطر الذي يحدق بعاصمة الخلافة القديمة، فهرع من قطاع مرسية في جيش قوي يبلغ نحو خمسة وثلاثين ألف مقاتل، ومعه نحو مائتي فارس من المرتزقة النصارى وعسكر على مقربة من قرطبة. ولم يكن ثمة ريب أنه لو اشتبك ابن هود بجيشه مع القشتاليين، وكانوا في قلة من العدد، للحقت بهم الهزيمة ولتركوا المدينة المحصورة وشأنها. ولكن الذي حدث هو أن ابن هود لبث جامدا في قواته، وهنا تختلف الروايات في إيضاح سبب هذا الجمود و الإحجام عن إنجاد أهل قرطبة. فيقال إن قسوة الطقس وهطول الأمطار بشدة، ونقص المؤن حملاه على التريث والإحجام. وقيل أيضا أن الهدنة، بين ابن هود وبين فرناندو الثالث، كانت قد انتهت أو انقطع سريانها، لتخلف ابن

هود عن أداء الإتاوة المشروطة، أو أن التخلى عن إنجاد قرطبة ربما كان ضمن شروط لنص الهدنة الجديدة، أو غير ذلك من الأسباب. وأضحى الموقف في قرطبة مستحيلا، خصوصا بعد أن نكل ابن هود عن إنجاد المدينة المحصورة، وأحجم عن كل اشتباك مع القشتاليين. بعد ذلك اضطر أهل المدينة مع قسوة الحصار إلى مفاوضة ملك قشتالة في التسليم على أن يؤمنوا في أنفسهم، وفيما يستطيعون حمله من أموالهم ووافق ملك قشتالة على هذا الشرط. ما كاد عهد التسليم يعقد بين أهل المدينة، وبين ملك قشتالة حتى ترك أهل قرطبة دورهم، وغادروا مدينتهم، وقد برح بهم الجوع والحزن، وتفرقوا في أنحاء الأندلس الأخرى. وفي يوم الأحد 23 من شوال633 هـ -29 يونيه 1236م، دخل الجند القشتاليون المدينة وفي الحال رفع الصليب على قمة صومعة جامعها الأعظم وحول في الحال إلى كنيسة. وفي نفس الوقت عقدت بين ملك قشتالة، وابن هود هدنة جديدة، لمدة ستة أعوام يلتزم فيها ابن هود بدفع إتاوة قدرها اثنين وخمسين ألف مرافيدي على ثلاثة أقساط سنوية. وقيل أن ابن الأحمر، حليف ملك قشتالة أو تابعه، كان له يد في إقناعه بقبول التسليم، وتأمين أهل المدينة.



قرطبة

CONFIDENTIAL

## ح. عوامل السقوط في دولة المرينيون - (1244-1465) في الأندلس (674هـ 741هـ 1276م-1343م)

يرجع ظهور المرينيون، بنو مرين أو بنو عبد الحق وهي سلالة أمازيغية حكمت بلاد المغرب الأقصى من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر ميلادي، لوضعية بلاد الأندلس المغرب بعد كارثة **معركة العُقاب** سنة 609 هـ، حيث ضعف وتفتت كيان السلطة المركزية لدولة الموحدين، هذا بالإضافة لتفشي وباء الطاعون وهلاك الجند، فغاب الأمن في البلاد، فظهر بنو مرين على مسرح الأحداث السياسية واستطاعوا إلحاق الهزيمة بالجيش الموحدي في أول صدام لهم مع الموحدين، ثم ازدادت قوتهم، فاستطاعوا القضاء على الدولة الموحدية والجلوس في مكانها بعد قضائهم على الموحدين في مراكش سنة 668 هـ/ 1269 م ، واتخذوا من مدينة فاس عاصمة لهم. كان أول سلطان لهم : يعقوب بن عبد الحق. استطاع المرينيون توحيد المغرب الاقصى والعبور إلى الأندلس للجهاد لوقف زحف ممالك إسبانيا ومكافحة القرصنة المسيحية على سواحل المغرب بعد ما لجأ حكام مملكة غرناطة إلى الاستنجاد بسلاطين المغرب المرينيين بعد اشتداد الضغط الذي فرضته مملكة قشتالة. اشترط السلطان المريني بن عبد الحق على ملوك غرناطة تنازلهم على جزيرة طريف والجزيرة الخضراء على الساحل الجنوبي لبلاد الأندلس، لتسهيل عبور المغاربة للأندلس وفي سنة 674 هـ 1276م هزم جيش بن عبد الحق القشتاليين قرب مدينة إستجة في **موقعة الدونونية** ، ثم قاموا بحصار وغزو إشبيلية وحازوا على مجموعة من المدن الأندلسية، أبرزها الجزيرة الخضراء وطريف وملقة وقمارش ورندة، بعدها تنازل ولده السلطان يوسف عن الكثير منها مكتفياً بطريف والجزيرة الخضراء. تزامن ظهور المرينيين على مسرح الأحداث مع مرحلة انقلبت فيها موازين القوى بالبحر المتوسط الغربي لصالح المسيحيين منذ **معركة العُقاب** ،حيث ساهم القشتاليون في إنشاء مملكة غرناطة كدولة تابعة لهم، ولم يعد المغرب الأقصى قادراً على تهديد الممالك المسيحية بالأندلس، بل إنه أصبح مهدداً في عقر داره عندما نجح القشتاليون، ولو لمدة قصيرة، في السيطرة على سلا سنة 658 هـ/ 1260 م.



CONFIDENTIAL

## أسباب سقوط المرينيون

- **دسائس بنو الأحمر**

لم يسلم المرينيون من تدخل ودسائس بنو الأحمر في شؤونهم الداخلية، في الأندلس وفي المغرب. أقدمت غرناطة سنة 705 هـ/ 1305م على تحريض شيخ الغزاة بن أبي العلاء على السيطرة على سبتة، ودعمته في معارك مباشرة خاضها ضد أبناء عمومته حكام المغرب، فأرسل السلطان أبو يعقوب يوسف جيشا بقيادة ابنه أبي سالم من أجل استرداد سبتة، لكنه فشل في مهمته؛ بعدها قام السلطان أبو ثابت عامر في محرم سنة 708هـ/1308م بإرسال غارات على نواحي سبتة، وأمر ببناء مدينة تطاوين من أجل اتخاذها قاعدة لجيشه المعد لمهاجمة سبتة. وفي الوقت نفسه أرسل كبير الفقهاء بن أبي الصبر إلى ابن الأحمر يفاوضه في أمر التخلي عن سبتة، وبينما كان ينتظر الجواب مرض السلطان أبو ثابت وتوفي في طنجة في شهر صفر 708هـ/1308م. وتولى الحكم من بعده أخوه أبو الربيع سليمان الذي انتهز فرصة غياب الوالي بن أبي العلاء وعبوره إلى الأندلس بقصد الجهاد، فأرسل جيشا كبيرا لاسترداد سبتة- التي لم يتحمل أهلها حكم بني الأحمر - ولما علم أهلها بقدوم الجيش المريني ثاروا على من كان بسبتة من جنود حامية ابن الأحمر وأخرجوهم منها، فتمكن المرينيون من تحرير سبتة في 10 صفر 709 هـ/ 1309م. عندما وصل خبر سقوط سبتة إلى ملك بني الأحمر أبي الجيوش نصر بن محمد خشي من بني مرين وأرسل وفدا إلى السلطان أبي الربيع يطلب منه الصلح، فتنازل للمرينيين عن الجزيرة الخضراء ورندة وحصونها، وقد وافق أبو الربيع على الصلح ووطد علاقته بابن الأحمر بزواجه من أخته، وأرسل السلطان المغربي المدد والمساعدة لبني الأحمر وجهز جيشا وأرسله للأندلس. الغريب أن الأسطول الأراغوني تحت إمرة الفيسكوندوي كاستلنو ساند المرينين في حصارهم لسبتة.

- **تقلص التدخل المريني في الأندلس**

تقلص التدخل المريني بالأندلس تم انقطاعه نهائيا كان سببه عدة عوامل، أبرزها :



CONFIDENTIAL

1. الحروب مع جيرانهم بني عبد الواد.

2. الفتن الداخلية بالمغرب.

3. الصراع على السلطة، والاختلافات والصدامات المستمرة بين سلاطين بنو مرين وحكام مملكة غرناطة.

4. عدم توفر المرينيين على أسطول كبير، واختلال التوازن بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة.

## سقوط جزيرة طريف

راسل السلطان المريني حاكم غرناطة ابن الأحمر يُجَدِّد له الرغبة في الصلح والتحالف، وحذره من خطورة انفصام تحالف المسلمين على مصير الأندلس. لكن ملوك بنو الأحمر وضعوا خطة للسيطرة على جزيرة طريف لإبعاد المرينيين عن شؤون غرناطة، فتعهد محمد الثاني لسانشو الرابع ملك قشتالة بالإنفاق على جيشه مدة حصاره (والذي اشترك فيه الملك خايمي الثاني ملك أراغون) لمدينة طريفة لقاء أن يسلمها إليه بعد سقوطها. وبعد أربعة أشهر من الحصار سقطت في شوال سنة 691 هـ/ 1291 م ، وجاءت مصيبة الغرناطيين عندما رفض ملك قشتالة التنازل عن جزيرة طريف بالرغم من استلامه ستة حصون من ابن الأحمر لقاء تعاونه. فذهبت طريف من يد السلطان المريني المغربي، وهي المعبر الستراتيجي الذي يتم منه جواز المغاربة، والقاعدة التي تشكل عيناً على من يفقدها من الاثنين المغاربة والغرناطيين. بعدها عبر الملك الغرناطي محمد الفقيه إلى المغرب ليعتذر للسلطان المريني عما حدث وليعيد المياه إلى مجاريها.

CONFIDENTIAL

## معركة طريف (معركة ريو سالادو)

بعد ما كثرت غزوات النصارى لأراضي المسلمين، اشتبك الفريقان في معركة عامة على ضفاف نهر سالادو في يوم 30 أكتوبر- قيل28 نوفمبر- 1340 (جمادى الأولى سنة 741 هـ)، جيوش المسلمين الأندلسيين بقيادة السلطان أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد إسماعيل والمرينيين القادمين من عدوة المغرب بقيادة السلطان أبي الحسن علي بن عثمان المريني من جهة، وجيوش مملكة قشتالة بقيادة ألفونسو الحادي عشر ومملكة البرتغال بقيادة ألفونسو الرابع. تقدم ألفونسو الحادي عشر بجيشه لمهاجمة المغاربة، فصُد في البداية بقوة، واشتبك فرسان الأندلس مع جيش البرتغال. غير أن موازين المعركة انقلبت عندما تسللت حامية طريف النصرانية من الجنوب وانقضت على مؤخرة الجيش الإسلامي، فدب الخلل إلى صفوفه، ونشبت بين الفريقين معركة دموية هائلة، قُتل فيها من المسلمين عدد جم، وسقط معسكر سلطان المغرب الخاص في يد النصارى وفيه حريمه وحشمه وبعض أولاده، فذُبحوا جميعًا، وتبعثرت قوات المسلمين، وفر السلطان أبو الحسن، واستطاع أن يعبر إلى المغرب مع فلوله، وارتد السلطان يوسف إلى غرناطة، وكانت محنة لم يشهد المسلمون مثلها منذ موقعة **العُقاب** سنة 609 هـ ، وكان لها أعمق وقع في المغرب والأندلس. وتعتبر آخر معركة يشارك فيها المغاربة بشكل رسمي ومباشر في الأندلس، بعدها اكتفى السلطان المريني بمساعدة الأندلسيين من بعيد. كانت هزيمة طريف منعطفاً فاصلاً في تاريخ الحضور المغربي بالأندلس وبالمضيق. رغم محاولة أبو عنان - الذي خلف والدَه أباالحسن- في التدخل بالمنطقة، التي وصفها مؤرخون معاصرون له، مثل ابن بطوطة وابن الحاج النميري، فلا يبدو أنه أضاف مكاسب حاسمة للحضور المغربي بالأندلس وبالمضيق. كانت اهتمامات أبي عنان مركزة على السودان الغربي وبلاد المغرب في المقام الأول، أما الشؤون الأندلسية، فكانت تأتي في مرتبة ثانوية.

CONFIDENTIAL

## سقوط الجزيرة الخضراء

في بداية سنة 743 هـ/ يوليوز 1342م فرض حصار على الجزيرة الخضراء من قبل القوات القشتالية تحت قيادة ألفونسو الحادي عشر مدعومة بأساطيل من أراغون وجنوى، وذلك بهدف نزع المدينة من الدولة المرينية، وكانت الجزيرة الخضراء تعتبر الميناء الرئيسي في الجهة الأوروبية من مضيق جبل طارق. استمر الحصار مدة 20 شهرا، عاني خلالها سكان المدينة ( 30000 بين مدنيين وجنود) من حصار شديد منع دخول المواد الغذائية والمؤن إلى المدينة. اكتفى السلطان المريني أبو الحسن بمساعدة المحاصرين من مدينة سبتة، وأرسل المؤونة لهم بحراً. في بداية شوال 743 هـ/ مارس 1344 م 1344، وبعد هزيمة جيش مملكة غرناطة في سهول بالمونبيس الذي كان متجها إلى انقاد الجزيرة الخضراء من الحصار، استسلمت المدينة الأوروبية المرينية، وضمت إلى مملكة قشتالة. بسقوط الجزيرة الخضراء فقد المغرب المريني نقطة هامة للعمليات العسكرية ولانتقال الجيوش، وأصبح ألفونسو الحادي عشر سيد بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) بدون منازع. وقد استطاع السلطان أبو فارس عبد العزيز استرجاع الجزيرة الخضراء سنة 770 هـ ولو مؤقتاً، فإن المرينيين فيما بعد أبي عنان، لم يتمكنوا من تهديد الممالك المسيحية الأوربية بالأندلس وبالمضيق. بعد سقوط الجزيرة الخضراء، بقي موقعان تحت الإدارة المرينية المغربية على أرض الأندلس، وهما رندة، التي تنازلوا عنها للنصريين سنة 1361م، وجبل طارق الذي تنازلوا عنه سنة 1374 م، وبذلك لم يعد هناك وجود مريني بأرض الأندلس. ودخل المغرب مرحلة الانحلال والضعف، ولم يسلم بعدها من تدخل ودسائس بنو الأحمر في شؤونه الداخلية .انقطاع العبور المغربي إلى الأندلس أدى لترك الأندلسيين يواجهون وحدهم زحف **"حركة الاسترداد النصرانية "** .

تأكد ضعف الحضور المغربي بهذه المنطقة بعد أن سقطت سبتة بيد البرتغاليين سنة 818 هـ / 1415 م. رغم استطاعة المغرب المريني أن يؤخر كارثة الأندلس بنحو قرنين من الزمن، يعتبر بعض الباحثين سقوط سبتة 1415 م هو الحدث الأنسب لبداية التحول إلى العصر الحديث، عوض تاريخ سقوط القسطنطينية سنة 1453 م.



CONFIDENTIAL

## خ. عوامل السقوط في مملكة بني نصر(بنو الأحمر) في غرناطة (630هـ- 897هـ)

بدأ سقوط مملكة غرناطة بعد سقوط دولة الموحدين في المغرب والأندلس، حيث انفرط عقد دولة الإسلام في الأندلس، وأصبحت كل ولاية مستقلة عن باقي الولايات؛ مما سهَّل مهمة نصارى إسبانيا في الاستيلاء على معظم مدن الأندلس الكبرى، فقد سقطت بلنسية وقرطبة ومرسية وإشبيلية خلال فترة وجيزة؛ مما أدى لأن ينحاز معظم مسلمي الأندلس إلى مملكة غرناطة في جنوب الأندلس، والتي أسسها محمد بن يوسف النصري الملقب بابن الأحمر، والتي ظل بنوه ونسله يحكمونها حتى السقوط المروع سنة 897هـ. ومما ساعد على بقاء غرناطة لفترة طويلة مساعدة بني مرين أمراء المغرب، الذين كانوا يمدون غرناطة بالجنود والسلاح لمواجهة تحديات الأسبان، وإنحياز خلاصة مسلمي الأندلس إليها وهم موتورون حانقون على الصليبيين، وكانوا أهل فلاحة وتجارة وصناعة، فقويت بهم مملكة غرناطة. وقد وصلت غرناطة لأوج قوتها ومجدها في عهد محمد الخامس من بني الأحمر سنة 763هـ. ثم أخذ الترف والدعة والاقتتال الداخلي وانتشار المفاسد يسري في جسد هذه المملكة، وفي نفس الوقت تتحد كل الممالك الإسبانية تحت راية فريناند وإيزابيلا ضد آخر وجود للإسلام في غرناطة. كان تأسيس دولة بني الأحمر في الأندلس من أخر محطات السقوط الأخير للأندلس الإسلامية حيث أخذ في التعاقب على حكم الأندلس العديد من الملوك والأمراء من بنى الأحمر .

### أسباب سقوط بني الأحمر

- **الصراع الداخلي**

في الوقت الذي كانت تتحد كل الممالك الإسبانية تحت راية فريناند وإيزابيلا ضد آخر وجود للإسلام في غرناطة، سادت في المقابل بين الملوك والأمراء من بنى الأحمر الخلافات والصراعات.



CONFIDENTIAL

- **التحالف مع أعداء الأمة**

وصل الصراع الداخلي بين أمراء بني الأحمر إلى ذروته، خاصة بين مولاي علي أبو الحسن وولده أبي عبد الله- الصغير-، ثم دخل أبو عبد الله محمد الثالث عشر- الزغل- في صراع مع ابن أخيه أبو عبد الله محمد الصغير كان سببا في إضعاف المملكة الإسلامية وجعلها فريسة لمملكتي قشتالة وأرجوان. وفي سنة 895 هـ وقع الزغل عهدا مع ملك قشتالة بارح بموجبه الأندلس قاصدا وهران، ثم لتلمسان، واستقر بها. وتفشت في أمراء بني الأحمر الأطماع الدنيوية والتي وصلت إلى حد التحالف مع أعداء الأمة الأندلسية والمسلمين ضد المسلمين حتى ساد الضعف والوهن في جسد الدولة الإسلامية في الأندلس وتمكن بالفعل الأعداء المتربصين من النيل منها والقضاء عليها وعلى تاريخها الإسلامي المشرف.

- **الاعتزاز بغير الله وموالاة اليهود والنصارى**

لما اعتز ملوك الأندلس وأصحاب القوة والجاه فيها باليهود والنصارى، تخلف عنهم التوفيق، وأصبحوا في أمر مريج، حتى أسقطوا بموالاتهم لأعداء الله حضارة ثمانية قرون. يقول الله تعالى في سنة الاعتزاز بغيره: "وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا . كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا". [مريم: 81-82]. سنة إلهية ثابتة: من اعتز بغير الله خذله وجعل عاقبة أمره خسراً. إنه خِذْلانٌ من الله استحق عقابَه شرذمة أرادت العزة في غير الإسلام، فأذلها الله.

- **الفشل والهزيمة المعنوية**

الفشل والهزيمة المعنوية مرض خطير، وعرض من أعراض الفرقة والخلاف وحب الدنيا، وطريق للهزيمة المادية والعسكرية.. ولذلك؛ لما أعلن الملك الصغير أمام جنده وحاشيته ووزرائه أنه يفكر في الاستسلام، زادهم فشلاً على فشل وهزيمة على هزيمة، ووافقوه على الاستسلام – إلا وزيره موسى أبى



CONFIDENTIAL

الاستسلام - للعدو الفرنجي وتقديم مفاتيح آخر قلعة من قلاع الأندلس على طبق من ذهب للعدو الغاصب.

- **توحد الأعداء**

ابتداءً من سنة 895هـ شنَّ الأسبان حربًا متواصلة لا هوادة فيها، انتهت في عام 1492م (21 محرم سنة 897هـ) بسقوط الدولة الإسلامية في الأندلس والاستيلاء على أخر معقل للمسلمين بها وهى مدينة غرناطة وتوقيع وثيقة الاستسلام والسقوط ، لتبدأ بعد ذلك فصول مأساة هي الأفظع والأبشع في تاريخ أوربا. حيث بدأت أوروبا الصليبية وقتها في صب نيران حقدها على من تبقى من المسلمين بالأندلس وقتلهم وحرقهم والتنكيل بهم و تعذيبهم بل وصل الأمر إلى اختراع ألات جديدة للتعذيب من أجل القضاء على ما تبقى بها من الإسلام مما دفع بالكثيرين إلى الهروب إلى المغرب والى الجبال.. ولعل ابرز دليل على ذلك كان محاكم التفتيش التي شكلت فيما بعد سقوط الأندلس للقضاء على ما تبقى من المسلمين بها وأُجبار الباقون على التنصُّر. قُتل عدة ملايين من المسلمين تحت وطأة التعذيب في محاكم التفتيش، وبدأ هدم المساجد الإسلامية و أي شيء يدل أو يكون شاهدا على حضارة المسلمين بالأندلس. و يعتبرها المؤرخون أنها أولى الحملات الصليبية التي وجهت ضد الإسلام والمسلمين نظرا لما ارتكبته من فظائع وتدمير وتنكيل للمسلمين في الأندلس. وطويت بذلك صفحة أعرق دول الإسلام في التاريخ الإسلامي كله.

CONFIDENTIAL

## سُقوط إشبيلية

في جمادى الأولى 645هـ/سبتمبر1247م، فرض فرناندو الثالث ملك قشتالة حصارًا شديدًا على إشبيلية من ناحية البر والبحر، وضيَّق الخناق على أهلها حتَّى استسلموا دون قيدٍ أو شرط، فدخلها في موكب النصر يوم الإثنين في 5 شعبان 646هـ/ 23 نوفمبر (تشرين الثاني) 1248م، وهكذا سقطت إشبيلية حاضرة المُوحدين بالأندلُس، بعد أن حكمها المُسلمون خمسة قُرونٍ وثُلث القرن. وبِسُقوط إشبيلية سقطت جميع المُدن الواقعة على مصب نهر الوادي الكبير وفي منطقة وادي لكة، وكان ذلك بمثابة التصفية النهائيَّة لِسُلطان المُسلمين في شبه الجزيرة الأيبيريَّة. وخِلال الفترة المُمتدَّة بين سنتيّ 614-648هـ\1217-1250م، كانت جميع مُدن وثُغور غربيّ الأندلُس قد سقطت كُلها في أيدي البِرتُغاليين، وبذلك تمَّ القضاء نهائيًا على سُلطان المُسلمين في الأراضي البُرتُغاليَّة.

## سُقوط غرناطة

لم يبقَ في أيدي المُسلمين في أيبيريا سوى مملكة غرناطة الواقعة في جنوب شبه الجزيرة الأيبيريَّة، وقد عمَّرت هذه المملكة مُدَّة قرنين ونصف على الرُغم من صغر حجمها الجُغرافي وقلَّة عدد سُكَّانها، وحافظت على ما بقي للمُسلمين من سُلطانٍ سياسيٍّ وتُراثٍ حضاريّ، ويرجع صُمودها هذا إلى عدَّة أسباب لعلَّ أهمُها: بُعدها من مُتناول أيدي الممالك النصرانيَّة، وقُربها من المغرب ممَّا سهَّل عليها طلب العون والمدد العسكري عند الحاجة، وتدريب أهلها على القتال وحمل السلاح والاستعداد الدائم لِمُلاقاة العدو والتزام سُكَّانها بالجهاد، وتصميم الهاربين إليها من سائر مُدن الأندلُس على الصُمود والتضحية. وقد شهد هذا العصر ذُروة الصراع بين المُسلمين والقشتاليين، ذلك أنَّ ألفونسو الحادي عشر حاول اقتطاع جُزءًا من أراضي مملكة غرناطة الصغيرة، فكثُرت غزواته لِأراضيها، الأمر الذي دفع أميرها إلى الاستنجاد بسُلطان المغرب المريني يعقوب بن عبد الحق، الذي أمدَّهُ بالرجال والعتاد، فقاتل حلفًا صليبيًا تمكن من هزيمته في بادئ الأمر في موقعة



CONFIDENTIAL

الدونونية- 674/1276هـ ،وعاد فقام بحصار وغزو إشبيلية، وأسس بقرب الجزيرة الخضراء مدينة حصينة؛ سماها «البُنيَّة». وفي سنة 676هـ، عاد لإشبيلية، وفتك بالجيوش الإسبانية، ثم توجه لقرطبة واشتبكوا مع الإسبان في أبوابها ورجع عن طريق غرناطة، وزار ابن الأحمر، ثم عاد إلى المغرب سنة 677هـ. وتذكر المصادر التاريخية الإسبانية معركة ألكوي، حيث توغل جند المرينيين لبلدات فالنسية مثل ألكوي(Alcoy) وإل بويغ، وكان لهذه الحملة أثر ترك بصمته في الرواية الشعبية الفالنسية تحتفظ إلى يومنا هذا بتفاصيلها وتتجلى في احتفالات. المسلمين والمسيحيين في **ألكوي** (بالإسبانية. Moros y Cristianos de Alcoy ) وباستمرار دخول المجاهدين من المغرب إلى الأندلس قرر قادة الجيش المغربي إنشاء مراكز للمرابطة ("مشيخة الغزاة" ورئيسها باسم *شيخ الغزاة*) فيها، ليكون العسكر على أهبة الاستعداد لمجاهدة الممالك الإسبانية، ، فأصبح الحضور المريني بالأندلس يمر عبر هذه المشيخة والتي كانت تشكل اللعبة السياسية القائمة آنذاك بين المرينيين وبني الأحمر. لكن السلطان المريني أبي الحسن انهزم من ألفونسو الحادي عشر هزيمةً قاسية في معركة طريف- جمادى الثانية 741 هـ / نوفمبر 1340م، أسفرت عن مذبحة للمسلمين، وأسر عدد من الجنود، ومن بينهم أحد أبناء السلطان أبي الحسن، ووفاة زوجة السلطان الحفصية التي قتلت مع زوجة أخرى، وهروب السلطان بنفسه نحو سبتة. وكانت تلك الهزيمة نذيرًا باقتراب نهاية الصراع على مصير الأندلُس. وخِلال رُبع القرن التالي توالت الهزائم على المُسلمين، فخسروا مُعظم أراضي مملكة غرناطة. الملك أبو عبد الله مُحمَّد بن عليّ (محمد الثاني عشر، من بني نصر أو بني الأحمر- آخر ملوك الأندلس المسلمين الملقب بالغالب بالله) حكم غرناطة وعمره 25 عاما بينما كانت الأندلس قد انكمشت من جهة الجنوب إلى مملكتين هما مملكتي مالقة وغرناطة. الأعوام التالية أبو عبد الله الصغير قضاها في الاقتتال مع أبيه أبي الحسن علي بن سعد وعمه أبي عبد الله محمد الزغل. في عام 1483 هاجم الأسبان إمارة مالقة ليستولوا عليها ويبيدوا من كان بها من المسلمين إلا أن عبد الله الزغل هزمهم هزيمة نكراء وأعطى المسلمين الأمل في ارجاع كرامتهم المفقودة. ولكن أبا عبد الله الصغير قد شعر بالغيرة من أبي عبد الله الزغل عند ظهوره كبطل شعبي يعطي الأمل للمسلمين، و في نفس

السنة حاول أبو عبد الله الصغير غزو قشتالة عاصمة فرناندو فهُزم شر هزيمة في لوسينا ووقع في الأسر لمدة عامين، ولم يفك أسره حتى وافق على أن تصبح مملكة غرناطة تابعة لفرناندو وإيزابيلا ملوك قشتالة وأراجون. وخرج بعد توقيعه اتفاق سري مع ملك إسبانيا فريدناند وزوجته ايزابيلا. في عام 1489 استدعاه فرناندو وإيزابيلا لتسليم غرناطة، ولدى رفضه أقاما حصارا على المدينة. ثم قام عبد الله الصغير بتوقيع اتفاق ينص على تسليم غرناطة على الرغم من رفض المسلمين لهذه الاتفاقية. وبسبب رفض أهل غرناطة لهذ الاتفاقية، اضطر المسلمين للخروج في جيش عظيم للدفاع عن المدينة ولأن أبا عبد الله الصغير لم يستطع الافصاح عن نيته في تسليم المدينة، قام بدب اليأس في نفوس الشعب من جهات خفية إلى أن توقفت حملات القتال وتم توقيع اتفاقية عام 1491م التي تنص على تسليم المدينة, وتسريح الجيش ومصادرة السلاح(وقَّع الوزير أبا القاسم بن عبد الملك، بالنيابة عن الملك أبو عبد الله في 12 صفر 897هـ ا-15 ديسمبر1491م مُعاهدةً مع الملك فرناندو الخامس، سلَّم بموجبها غرناطة وكافَّة أعمالها إلى القشتاليين).واستسلم لفرديناند وإيزابيلا, فدخلوها يوم الإثنين في 1 ربيع الأوَّل 897هـ المُوافق فيه 2 كانون الثاني (يناير) 1492م. وبِسُقوط غرناطة سقطت الأندلُس نهائيًا، وأُسدل الستار على تاريخ المُسلمين فيها. بعد الخيبات التي مر بها المسلمون بسببه، غادر أبو عبد الله الصغير من الأندلس إلى فاس وعاش هناك حياة لم يعرف أحد عنها شيئا حتى مات عن عمر يناهز الخمسة والسبعين عاما متهما بالعار والخيانة والتفريط.

تؤكد وثيقة إنجليزية (كشفها الدكتور غوميث سولينيو) أن عدد القوات التي حاصرت غرناطة كان أكبر بكثير من عدد القوات الغرناطية، مخالفا بذلك الرواية المتواترة من أن جيش غرناطة كان كبيرا، وتضيف الوثيقة أن «أهالي غرناطة مروا بمعاناة قاسية خلال أعوام الحصار، وقامت القوات الأسبانية بتحطيم وحرق الحقول المجاورة للمدينة، ما تسبب في مجاعة رهيبة بين سكان غرناطة، ولهذا السبب أكلوا الخيول والكلاب والقطط».

CONFIDENTIAL

# الإحجام عن إنجاد مسلمي الأندلس

**الأوضاع المزرية في المغرب**

كان مسلمو الأندلس كلما اشتد بهم الأمر استنجدوا بملوك المغرب، لا سيما ملوك بني مرين الذين ساروا على نهج المرابطين، والموحدين الذين كانوا ينهضون للتدخل لحماية الأندلس كلما ضاق الأمر بأهلها. لكن رغم الجهود التي بذلها بنو مرين لحماية الأندلس، فإنهم لم يتمكنوا من تحقيق انتصارات ساحقة، كتلك التي حققها المرابطون في معركة الزلاقة، والموحدون في معركة الأرك. والسبب في ذلك يرجع إلى أن المرينيين كانوا يقاتلون بإمكانياتهم الذاتية فقط، بينما كان المرابطون والموحدون يقاتلون بإمكانيات المغرب العربي كله. بالإضافة إلى الأوضاع الاقتصادية المزرية التي كان يمر بها المغرب في هذه الفترة من تاريخه على وجه الخصوص، والتي حالت دون تمكن المرينين أو الوطاسيين من إنقاذ الأندلس، بل جعلتهم عاجزين حتى عن حماية سواحلهم من الاحتلال الإسباني والبرتغالي.

**الأوضاع المزرية في تونس**

كان أهل الأندلس يلجئون إلى ملوك بنو حفص في تونس عندما لا يجدون من ملوك المغرب أذانا صاغية. لكن أثناء حصار غرناطة و بعد سقوطها كانت الدولة الحفصية تعيش أخريات أيامها، ولم يكن بمقدور أمرائها أن يقدموا أي جهد جدي لدعم مسلمي الأندلس. فسواحل تونس نفسها لم تنج من الاحتلال الإسباني، أضف إلى ذلك أن الجيش الحفصي الذي كان ذات يوم يعتبر من أفضل جيوش شمال أفريقيا، كان قد تحلل وأصبح عاجزا عن مقاومة أي عدو، بل فقد سيطرته حتى على الأعراب الذين كانوا يعيثون فسادا في البوادي وأطراف المدن، الأمر الذي جعل الملوك الحفصيين يستعينون بالمرتزقة من الجنود الإيطاليين والإسبان والزنوج وغيرهم.

CONFIDENTIAL

**موقف سلاطين المماليك في مصر**

أرسل مسلمو غرناطة إلى السلطان قايتباي (1468م-1496م)- سلطان مماليك مصر- يرجونه التدخل لإنقاذهم من ظلم ملوك المسيحيين، ويبدو أنه لم يتمكن من إغاثة مسلمي الأندلس بسبب انشغاله بالاضطرابات الداخلية ورد غارات السلطان بايزيد المتكررة على الحدود الشمالية، فاكتفى بإرسال وفود إلى البابا وملوك أوروبا يذكرهم بأن المسيحيين في دولته يتمتعون بكافة الحريات، بينما إخوته في الدين في مدن إسبانيا يتعرضون لشتى ألوان الاضطهاد، وهدد على لسان مبعوثيه بأنه سوف يتبع سياسة المعاملة بالمثل، لكن الملكين الكاثوليكيين (فرديناندو وإيزابيلا) لم يريا في مطالب سلطان المماليك وتهديده ما يحملهما على تغيير خطتهما ومن ثم فإن الجهود المصرية وقفت عند الاكتفاء بالجهود الديبلوماسية، وتركت الأندلس تواجه قدرها بنفسها. ثم كرر الأندلسيون استغاثتهم بقانصوه الغوري (1501-1516)- سلطان مماليك مصر والشام- داعين إياه أن يتوسط لدى الملكين الكاثوليكيين (فرديناندو وإيزابيلا) لاحترام معاهد الاستسلام، ووقف أعمال الاضطهاد ضدهم، فأرسل الغوري وفدا إلى الملكين يبين لهما أنه سوف يجبر النصارى المقيمين في بلاده على الدخول في الإسلام إذا لم تراع الاتفاقات السابقة بينهما وبين المسلمين، لكن فقهاء المسلمين عارضوا معاملة الرعايا المسيحيين بالمثل، محتجين بأن الإسلام لا يكره أحدا على الدخول فيه، فأرسل إليه الملكان سفيرا أقنعه بأن المسلمين يعاملون معاملة حسنة، وأن لهم نفس الحقوق التي يتمتع بها الإسبان.

**موقف السلطان محمد الفاتح**

أرسل أهل غرناطة في منتصف سنة 1477 م (أي قبل سقوط غرناطة بأربعة عشر عاما-1492م) سفارة على إسطنبول، وجهوا فيه نظر السلطان محمد الفاتح إلى تدهور أوضاع المسلمين في الأندلس، وناشدوه التدخل لإنقاذهم، لكن كان في حكم المستحيل أن يستجيب السلطان الفاتح لهذه الاستغاثة، لأنه كان هو الآخر مضطرا إلى مواجهة تحالف صليبي ضم البابا سكست الرابع Sixte (1471 م - 1484)، وجنوة، ونابولي، والمجر، وترانسلفانيا، وفرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس، وعددا من الزعماء الألبان الذين كانوا يضمرون عداء شديدا للدولة

العثمانية. ثم استنجد الأندلسيون مرة أخرى بعد وفاة الفاتح بابنه السلطان بايزيد الثاني (1480 م -1511)، إلا أن السلطان بايزيد كانت قد تزاحمت عليه أزمات داخلية وخارجية كثيرة منعته من إغاثة مسلمي الأندلس منها :حروبه مع المماليك في أدنة سنة 1485-1491 م ، وصراعه مع أخيه ، بالإضافة إلى الحرب ضد تحالف صليبي من طرف البابا يوليوس الثاني، وجمهورية البندقية، والمجر، وفرنسا و التى أدت إلى تنازل العثمانيين عن بعض ممتلكاتهم، وانتهى حكم السلطان بايزيد بصراع بين أبنائه، أضافة إلى تنحيته عن العرش، ثم موته في ظروف مشبوهة.

CONFIDENTIAL

# أسباب السقوط النهائي

سقوط الأندلس مثل أي سقوط لأي دولة في التاريخ يكون له أسباب موضوعية، تكون في الغالب بسبب ضعف الدولة في مواجهة الأعداء. فمهما كانت الأحوال مثالية في الداخل إذا لم تمتلك الدولة الجيش القوي الذي يصد ويدافع عن الدولة ضد أي هجوم ستقع الدولة لا محالة، ولذلك كانت الأسباب التالية هي اهم أسباب السقوط النهائي للأندلس:

### 1- تفتت الدولة

تفتت الأندلس في آخر عصرها إلى دويلات صغيرة تنازعت فيما بينها على المُلك فأهدرت طاقة الجيوش المُسلمة، بعد أن توالى على حكمها حكام ضعاف خونة، فضلوا مصالحهم الشخصية على مصالح المسلمين، ولعل مقولة أم آخر ملوك الأندلس لابنها وهو يبكى على مشارف غرناطة بعد توقيعه على اتفاقية تنازله عن ملكه حين قالت له "**ابكي كالنساء على ملك لم تحافظ عليه كالرجال**" هي أصدق وصف لحالة الحكم في ذلك الوقت.

### 2- توحد الأعداء

توحدت جيوش الأعداء بعد زواج "فرديناندو" ملك أراغون من "إيزابيلا" ملكة قشتالة، ليكونا معا جيشا قويا بتسليح لم يشهده المسلمون من قبل، استطاعا أن يسيطرا معا على كل المدن الإسلامية التي إما قاومت وانهزمت أو استسلمت بخيانة حكامها.

CONFIDENTIAL

### 3- الظلم

الظلم بأنواعه- ظلم النفس وما بين العبد وربه و ظلم الناس- ليس سبباً من أسباب الهزيمة والسقوط فحسب، بل هو سبب من أسباب هلاك الأمم وسقوط الدول وانهيار الحضارات وتغيّر الأحوال. و ملوك الطوائف اجتمعت فيهم كل أنواع الظلم؛ ظلموا أنفسهم لما غرقوا في حب الدنيا وملذاتها وشهواتها، وظلموا ما بينهم وبين ربهم لما تقاعسوا وتقاعدوا عما افترضه عليهم من فرائض وأوجبه من واجبات وحرمه من محرمات وفواحش وبخل وتبذير، وظلموا رعيتهم في الأرزاق وفي الحماية والدفاع عنها، وخانوا أرضهم لما قدّموها سهلة لعدوهم، وظلموا الأجيال قبلهم لما أضاعوا ما شيدوه وبنوه على مدار 800 عام، وظلموا الأجيال بعدهم لما لم يحافظوا على الأمانة ولم يؤدوها إلى أهلها.

### 4- الأوضاع المزرية في المغرب و شمال أفريقيا

كان مسلمو الأندلس كلما اشتد بهم الأمر استنجدوا بملوك المغرب، أو يلجئون إلى ملوك بنو حفص في تونس عندما لا يجدون من ملوك المغرب أذانا صاغية. لكن رغم الجهود التي بذلها ملوك بنو مرين لحماية الأندلس، فإنهم لم يتمكنوا من تحقيق انتصارات ساحقة. وحالت الأوضاع الاقتصادية المزرية التي كان يمر بها المغرب في هذه الفترة من تاريخه دون تمكن المرينين، أو الوطاسيين من إنقاذ الأندلس، بل جعلتهم عاجزين حتى عن حماية سواحلهم من الاحتلال الإسباني والبرتغالي. وكانت الدولة الحفصية في تونس تعيش أخريات أيامها، ولم يكن بمقدور أمرائها أن يقدموا أي جهد جدي لدعم مسلمي الأندلس. فسواحل تونس نفسها لم تنج من الاحتلال الإسباني، أضف إلى ذلك أن الجيش الحفصي كان قد تحلل وأصبح عاجزا عن مقاومة أي عدو، بل فقد سيطرته حتى على الأعراب الذين كانوا يعيثون فسادا في البوادي، وأطراف المدن، الأمر الذي جعل الملوك الحفصيين يستعينون بالمرتزقة من الجنود الإيطاليين والإسبان والزنوج وغيرهم.



CONFIDENTIAL

### 5- انشغال سلاطين المماليك و العُثمانيَّين

أرسل مسلمو غرناطة إلى السلطان قايتباي (1468م-1496)[ سلطان مماليك مصر] ثم قانصو الغوري (1501م-1516)[سلطان مماليك مصر والشام]يرجونهم التدخل لإنقاذهم من ظلم ملوك المسيحيين، ويبدو أنهم لم يتمكنوا من إغاثة مسلمي الأندلس بسبب انشغالهم بالاضطرابات الداخلية ورد الغارات المتكررة (للسلطان بايزيد) على الحدود الشمالية، فاكتفيا بإرسال وفود إلى البابا وملوك أوروبا والجهود الديبلوماسية، وتركت الأندلس تواجه قدرها بنفسها. استنجد أيضاً أهل غرناطة في منتصف سنة 1477 (أي قبل سقوط غرناطة بأربعة عشر عاما-1492م) بالسلطان محمد الفاتح وناشدوه التدخل لإنقاذهم، لكن كان في حكم المستحيل أن يستجيب السلطان الفاتح لهذه الاستغاثة، لأنه كان هو الآخر مضطرا إلى مواجهة تحالف صليبي ضخم من الذين كانوا يضمرون عداء شديدا للدولة العثمانية. ثم استنجد الأندلسيون مرة أخرى بعد وفاة الفاتح بابنه السلطان بايزيد الثاني (1480 م-1511)، إلا أن السلطان بايزيد كانت قد تزاحمت عليه أزمات داخلية وخارجية كثيرة منعته من إغاثة مسلمي الأندلس.

CONFIDENTIAL

# ما بعد سقوط غرناطة

سلم أبو عبدالله الصغير غرناطة بعد صلح عقده مع فيرناندو سنة 1492 م يقتضي بتسليم غرناطة وخروج أبو عبدالله الصغير من الأندلس، ولكن سرعان ما نقض هذا الأخير- فيرناندو – العهد، وهنا بدأت معاناة أهل الأندلس.

لم تتوقف القوات المسيحية عند غرناطة، إذ سرعان ما توجهت نحو بلدان شمال أفريقيا وسيطرت على مناطق عدة بينها مدينة مليلية المغربية عام 1492 في السنة التي سقطت فيها غرناطة، وقبلها سيطر البرتغاليون على سبتة المغربية عام 1415 مستغلين في ذلك انهيار قوة المغرب الأقصى. وخرج آلاف المسلمين واليهود من الأندلس باتجاه الشمال الأفريقي واستقروا بمدن عدة، فرارا من واحدة من أسوأ مجازر القتل والذبح والتعذيب في التاريخ، عرفت بمحاكم التفتيش والتي ما تزال بعض متاحف إسبانيا تحتفظ بوسائل تنفيذها.

بدأت محاكم التفتيش في التعذيب والقتل والنفي، وبدأت هنا معاناة أهل الأندلس من المسلمين ومن اليهود فقد كانت محاكم التفتيش تجبرهم على التنصير أو الموت. وقد تمسك بعض أهل الأندلس بالإسلام ورفضوا الاندماج مع المجتمع المسيحي.

حسب الرواية القشتالية الرسمية, لم يُبد الأندلسيون رغبة في الاندماج في المجتمع المسيحي وبقوا في معزل عنه، يقومون بشعائرهم الإسلامية ويدافعون عنها بكل تفان. وحتى لا يصطدموا بمحاكم التفتيش لجأوا إلى ممارسة التقية فأظهروا النصرانية وأخفوا الإسلام، فكانوا يتوضؤون و يصلون ويصومون، كل ذلك خفية عن أعين الوشاة والمحققين. يتحدث مول في كتابه عن قرية مويل Muel، فيصف كيف يصنع سكانها الأندلسيون الخزف ويُضيف :"قالوا لي إن القرية ليس بها سوى 3 مسيحيين قدامى هم الكاتب الشرعي, والقسيس وصاحب الحانة. أمّا الباقون فهم يُفضّلون الذهاب إلى مكة للحج عن السفر إلى كنيسة سانتياگو في جليقية". كتب المطران ربيرا ، مهندس قرار الطرد، في سنة 1501 م تقريرا عن الوضع قدمه إلى الملك, وقال فيه: "إن الدين الكاثوليكي هو دعامة المملكة الإسبانية، وإن المورسكيين لا يعترفون ولا يتقبلون البركة ولا الواجبات الدينية الأخيرة، ولا يأكلون لحم الخنزير، ولا يشربون النبيذ، ولا يعملون شيئا من الأمور التي يقوم بها

النصارى..." ثم يضيف:"إننا لا نثق في ولائهم لأنهم مارقون، وإن هذا المروق العام لا يرجع إلى مسألة العقيدة، ولكنه يرجع إلى العزم الراسخ في أن يبقوا مسلمين، كما كان آباؤهم وأجدادهم. ويعرف مفتشو العموم أن المورسكيين -بعد أن يحجزوا عامين أو ثلاثة وتشرح لهم العقيدة في كل مناسبة- فإنهم يخرجون دون أن يعرفوا كلمة منها، والخلاصة أنهم لا يعرفون العقيدة، لأنهم لا يريدون معرفتها، ولأنهم لا يريدون أن يعملوا شيئا يجعلهم يبدون نصارى" . وفي تقرير آخر يقول المطران- ربيرا - نفسه: "إن المورسكيين كفرة متعنتون يستحقون القتل، وإن كل وسيلة للرفق بهم فشلت، وإن أسبانيا تتعرض من جراء وجودهم فيها إلى أخطار كثيرة وتتكبد في رقابتهم والسهر على حركاتهم وإخماد ثوراتهم كثيرا من الرجال والمال.." وجاء في قرار الطرد الخاص بمسلمي بلنسية: " ... قد علمت أنني على مدى سنوات طويلة حاولت تنصير مورسكيي هذه المملكة ومملكة قشتالة, كما علمت بقرارات العفو التي صدرت لصالحهم والإجراءات التي اتخذت لتعليمهم ديننا المقدس, وقلة الفائدة الناتجة من كل ذلك, فقد لاحظنا أنه لم يتنصر أحد، بل زاد عنادهم".

وقد خلد الشاعر الشهير أبو البقاء الرندي سقوط الأندلس بقصيدته الشهيرة التي قال فيها:

**لكل شيء إذا ما تم نقصان *** فلا يغر بطيب العيش إنسان**

أعندكم نبأ من أهل أندلسٍ *** فقد سرى بحديثِ القومِ رُكبانُ

CONFIDENTIAL

**محاكم التفتيش الإسبانية**

محاكم التفتيش الإسبانية هي محاكم تابعة للديوان المقدس لمحاكم التفتيش في إسبانيا ،أسسها الملوك الكاثوليك فرناندو الثاني وإيزابيلا الأولى في 1478 بموافقة البابا سيكستوس الرابع. كانت مهمتها الحفاظ على العقيدة الكاثوليكية في الممالك الإسبانية ولتحل محل محاكم تفتيش القروسطية " محاكم التفتيش البابوية "، التي كانت تحت السيطرة البابوية، وإنشئت من خلال مرسوم باباوي أصدره البابا لوسيوس الثالث في نهاية القرن الثاني عشر حول إلغاء البدع(الهرطقة: المقصود هنا أي انحراف ولو بسيط عن العقائد المسيحية الرسمية) الخبيثة المنتشرة في عدة ممالك أوروبية (جنوب فرنسا، مملكة أرغون ). ففي 1477 أقنع رئيس الرهبنة الدومنيكي(توماس توركوما دا) الملكة إيزابيلا بأن بعض اليهود الذين تحولوا إلى المسيحية لا يزال يمارس اليهودية سراً فقامت بتشكيل محاكم خاصة للنظر في مصداقية هذا الإدعاء. كما شملت هذه المحاكمات المسلمين المتنصرين الذين اجبروا على اعتناق المسيحية عام 1502. وبحلول سنة 1571 أصبح 82% من المحاكمين من الموريسكو. أما الهدف من تلك المحاكم الإسبانية فهو في المقام الأول ضمان العقيدة من أولئك الذين تحولوا من اليهودية والإسلام. وقد كثف تنظيم إيمان للمتنصرين حديثا بعد المراسيم الملكية الصادرة في عام 1492 و1502 طالبة من اليهود والمسلمين إما تحويل دينهم أو ترك أسبانيا. اشتهرت محاكم التفتيش في الأدب والتاريخ الشعبي كمثال على القمع والتعصب الكاثوليكي والعنف المبالغ فيه. كانت المحاكم غالباً ما تستعمل التعذيب في انتزاع الاعترافات وخاص في القرن الثاني عشر وأثناء محاكم اليهود السفرديين. كما كان المحاكمون غالباً ما يعتمدون على شهادة جيران المتهمين في التحقيق من التهم المنسوبة إليهم. وقام البابا في البداية بنشر إعلان ذكر فيه عدم شرعية هذه المحاكم غير أن ضغط ونفوذ ملوك إسبانيا أدى إلى إلغاء هذه الدعوة وإعطاء السلطات كافة الصلاحيات الدينية في هذه المحاكم. وقد تم طرد ما لا يقل عن 500 ألف شخص من الموريكسيين ما بين عامي 1609-1614 بعد فشل محاكم التفتيش في إجبار المسلمين على ترك دينهم. وقد أدى هذا النفي و الطرد الجماعي لإدخال إسبانيا في أحلك فترة في تاريخها، حيث أن الكثير من الأراضي الخصبة أصبحت أراضي موات، واندثرت أكثر الحرف ازدهاراً (كالبناء وتنظيم السقاية والنقل). لم يبق من الموريكسيين بعد الطرد إلا القليل مختفين بدينهم.وقداستمرت محاكم التفتيش حتى تم الغائها نهائيا في القرن التاسع عشر( سنة 1834) في عهد إيزابيلا الثانية، بعد أن تراجع نفوذها في القرن السابق، واستبدلت بالمجمع المقدس لشؤون العقيدة والإيمان في الفاتيكان. وتعتبر محاكم التفتيش من أكثر مؤسسات البشرية السيئة الصيت، و قيل أنه راح ضحيتها خمسة ملايين إنسان، و قيل أنّ حالات الإعدام لم تتجاوز 3,000 حالة منذ تأسس محاكم التفتيش الإسبانية حتى إلغاؤها.

**التطبيق**

في القرن السادس عشر أصبحت إسبانيا أكبر قوه كاثوليكية في العالم ، وكانت نموذجًا لدولة دينية سلطويه، فالكنيسة تتحكم وتعين فيها الملوك والأباطره الذين يحكمون بحاكميه تسمى 'ظل الله في الأرض' أو 'قانون الحق الإلهي'، وللقضاء على ما سموه وقتها بالفساد، ثم استهدفت من تم اجبارهم على اعتناق المسيحية من المسلمين واليهود. وكانت إسبانيا آنذاك موضع حسد من العالم البروتستنتى في الشمال، فاستهدفت المعتقدات المسيحية الأخرى وخاصة البروتستانتية وظهرت كلمة الهرطقه، وهي وصف لمن اختلف معهم في الشرح المحدد للنص الإنجيلى من قبل الملتزمين في الكنيسة الكاثوليكية. محاكم التفتيش كلف بها رجال الدين في مختلف المحافظات والأمصار. فكل واحد منهم كان مسؤولاً عن ملاحقة المشبوهين في ابرشيته. وكان الناس تساق سوقًا إلى محكمة التفتيش عن طريق الشبهة فقط، أو عن طريق وشاية أحد الجيران. كانوا يعرضون المشبوه به للاستجواب حتى يعترف بذنبه، فإذا لم يعترف انتقلوا إلى مرحلة أعلى فهددوه بالتعذيب. وعندئذ كان الكثيرون ينهارون ويعترفون بذنوبهم ويطلبون التوبة. وأحيانًا كانت تعطى لهم ويبرأون. ولكن إذا شكوا بأن توبتهم ليست صادقة عرضوهم للتعذيب الجسدي حتى ينهاروا كليًا. وكان توماس توركوما دا، وهو رجل دين مسيحي، أول رأس هيئة التفتيش للبحث عن هؤلاء الهراطقه، فيقوم بوعظهم وتعذيبهم وقتلهم إن لم يعودوا إلى كنف الكنيسة الكاثوليكية، وكان يسمى بالمفتش العظيم أو جراند إنكويستر، وكان يعدم واحدًا على الأقل من كل عشرة أشخاص يمثلون أمام محكمته. ومن أهم الذين مثلوا أمام محاكم التفتيش العالم الشهير جاليليو، بل إن كوبرنيكوس القائل بدوران الأرض حول الشمس لم ينج منها إلا بسبب حذره الشديد. ولم ينفذ حكم الإعدام في جاليليو،لكن أُحيل إلى الإقامة الجبرية في فلورنسا. وأتيح لجاليليو أن يكمل بحوثه تحت المراقبة،ولم تعترف الكنيسة الكاثوليكية بغلطتها في حقه جاليليو إلا بعد مرور أكثر من 300 سنة على محاكمته!

**محاكم التفتيش الإسبانية**

**1. طرد المسلمين** : استخدم الكرادلة 'حملات تبشير' إلى المناطق التي انتشر فيها الموريسكو، وعند فشل هذه الحملات عمدت السلطات إلى ترحيلهم بشكل قسري ترحيلهم بشكل قسري. كانت محاكم التفتيش وسيلة ملوك أسبانيا الصليبيين لتطهير أسبانيا من المسلمين. وذلك برغم المعاهدة الموقعة منهم عندما سقطت غرناطة –آخر قلاع المسلمين في إسبانيا- سنة (898 هـ \ 1492م). حيث نصت المعاهدة مع الملوك الكاثوليك وضمنها البابا وأقسم عليها: "تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال إبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وإقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعتهم وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كما كذلك وألا يدخل نصراني دار المسلم ولا يغصبوا أحدا.... ". لكن تم نقض المعاهدة كلياً، وتم حظر اللغة العربية و إجبار المسلمين على التنصُّر. إلا أن العديد من هذا الاعتناق الديني كان بالاسم فقط، إذ استمر المسلمون في تطبيق الدين الإسلامي سراً. وكانت هناك محظورات كثيرة، منها حظر الوقوف تجاه القبلة وحظر ارتداء الملابس العربية. و كان إذا وجدوا في بيت رجل مصحفا، أو امتنع عن الطعام في رمضان، أو امتنع عن شرب الخمر وأكل الخنزير، أو لابساً للزينة يوم العيد عرفوا أنه مسلم فيصدر في حقه الإعدام. وكانوا يكشفون عورة من يشكون أنه مسلم، فإذا وجدوه مختونًا ، كان الموت نهايته هو وأسرته. وحين أصدر الإمبراطور شارل الخامس قراره بتنصير المسلمين، وعد بتحقيق المساواة بينهم وبين المسيحيين في الحقوق والواجبات، ولكن هذه المساواة لم تتحقق قط، وشعر هؤلاء أنهم ما زالوا موضع الريب والاضطهاد، ففرضت عليم ضرائب كثيرة لا يخضع لها المسيحيون، وكانت وطأة الحياة تثقل عليهم شيءًا فشيئًا، حتى أصبحوا أشبه بالرقيق والعبيد، ولما شعرت السلطات بميل الموريسكيين إلى الهجرة، صدر قرار في سنة (948 هـ=1514م) كما حرم عليهم النزوح إلى بلنسية التي كانت دائمًا طريقهم المفضل إلى الهجرة. ولما لم ينجح هذا الحل كليا في حل المشكلة الإسلامية في إسبانيا، كان اللجوء إلى الطرد الجماعي في القرن السابع عشر. حيث أصدر الملك فيليب الثالث قراراً بطرد مئات الآلاف من الموريكسيين بعد أن اقتنع بفشل محاكم التفتيش في إجبار المسلمين على ترك دينهم، على أن يبقى الأطفال الذين كانت أعمارهم بين العاشرة أو أقل في إسبانيا ليقوم الرهبان أو أي أشخاص آخرين موثوق بهم بتعليمهم مع إبقائهم عبيداً بغير زواج. أما الخسائر التي ستترتب عن هذا الطرد فتم تعويضها بشكل كبير بالأرباح الناتجة عن مصادرة أملاك المورسكيين. و تم طرد ما لا يقل عن 500 ألف شخص ما بين عامي 1609-1614 إلى البلدان الإسلامية المجاورة كالمغرب وتونس والجزائر بل وبعض البلدان المسيحية الأخرى، بعد نهب ومصادرة ثرواتهم وأملاكهم.

**2. طرد اليهود:** يمكن اعتبار أن محاكم التفتيش الإسبانية هي رد على طبيعة تعدد الأديان في المجتمع الإسباني بعد إسترداد شبه الجزيرة الإيبيرية من المسلمين المورسكيين. فبعد أن فتح المسلمون الأندلس أضحت مناطق كبرى في جزيرة أيبيريا تحت حكم المسلمين حتى سنة 1250 حيث قلصت إلى إمارة غرناطة التي سقطت سنة 1492. ومع ذلك فإن حروب الإسترداد لم تؤدي إلى طرد جميع المسلمين واليهود من أسبانيا، لأنهم لاقوا نوعا من التسامح من قبل النخبة المسيحية الحاكمة. وقد تركز اليهود في المدن الكبيرة خصوصا إشبيلية وبلد الوليد وبرشلونة بأحياء خاصة بهم ولكن في السنوات التالية ومع تزايد القهر والطرد وتعذيب المسلمين بدأ اليهود يتعرضون لنفس المعاملة.

3. **طرد المسيحيين والمتنصرين :** محاكم التفتيش هي "سلطة قضائية كنسيه استثنائية" وضعها البابا غريغوري التاسع لقمع جرائم البدع والردة وأعمال السحر في جميع أنحاء العالم المسيحي ، من القرن الثالث عشر إلى السادس عشر. محاكم التفتيش أنشئت أصلا لمحاربة الهراطقة(الكاثار) و البدع الأخرى والسحر في أسبانيا. لكنها كانت تستخدم في كثير من الأحيان كأداة سياسية ضد المسيحيين، واليهود والمسلمين المتحولين. في سنة 1609 تم طرد مئات الآلاف من المسلمين "المتنصرين" إلى المغرب حيث حرم عليهم اصطحاب مجوهراتهم وأموالهم التي تركت للإسبان الذين استوطنوا بيوتهم لاحقاً.

## محطات السقوط في الأندلس

- **سقوط بامبلونا بشمال البلاد عام 748 ميلادي**
- **سقوط برشلونة عام 801 للميلاد**
- **سقوط مدينة سنتياجو عام 997 للميلاد**
- **سقوط مدينة ليون عام 1002 ميلادي**
- **سقوط مدينة سلمنقة عام 1055 للميلاد**
- **سقوط مدينة قلمرية عام 1064 للميلاد**
- **سقوط مدريد عام 1084 للميلاد**
- **سقوط طليطلة (توليدو) في مايو عام 1085 للميلاد- مُحرَّم 478هـ.**
- **سقوط قرطبة عام 633هـ-1236م .**
- **سُقوط إشبيلية في الإثنين 5 شعبان 646هـ 23 تشرين الثاني (نوفمبر) 1248م**
- **سقوط سبتة المغربية 21 أغسطس 1415**
- **سقوط مالقة (مالجة) عام 1488 للميلاد**
- **سقوط غرناطة في الإثنين 1 ربيع الأوَّل 897هـ المُوافق 2 كانون الثاني (يناير) 1492م**
- **سقوط مدينة مليلية المغربية عام 1492 للميلاد**

CONFIDENTIAL

# أهم المعارك

▫ **معركة وادي لكة** أو **سهل البرباط**ـ رمضان 92 هـ/ يوليو 711 م. معركةً طاحنة بين جيش الفتح الإسلامي (طارق بن زياد) و الجيش القُوطي (لذريق أو رودريك), عند وادي لكة إلى الشرق من قادش. انتهت بانتصار المُسلمين نصراً مؤزراً، وتمَّ القضاء على جيش القوط الغربيين ومعهُ الملك لذريق.

▫ **معركة تولوز-** 9 ذي الحجة 102 هـ/9 يونيه 721 م**:** معركة دارت في تولوز بين جيش الدولة الأموية بقيادة السمح بن مالك الخولاني (كان الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز قد ولّاه على الأندلس سنة 100 هـ) وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقى ، وقوات دوق أقطانية بقيادة أودو دوق أقطانيا. بعد نجاح الأمويون في التقدم بقواتهم خلف جبال البرانس وضمّ سبتمانيا، اتخذوا من أربونة قاعدة لانطلاق حملاتهم للتوسع في غرب أوروبا. في سنة 102 هـ، جهز السمح حملة للغزو والتوسع شرقًا في غرب أوروبا قادها بنفسه. علم أودو دوق أقطانية بذلك وأعد جيشًا من السكان المحليين، الباسكيين والغاسكونيين، لردّ الأمويين. والتقى الجيشان في 9 ذي الحجة 102 هـ/9 يونيه 721 م بالقرب من تولوز، ودارت معركة كبيرة انتهت بانتصار الدوق أودو،وهزيمة الأمويين ومقتل قائدهم السمح بن مالك الخولاني.

▫ **معركة كوفادونجا (مغارة دونغة) -** أواخر صيف عام 722 م **:** بين بيلايو(أو بلايو) من أستورياس (شمال شرقي إسبانيا) أحد كبار دولة القوط الغربيين وجيش الخلافة الأموية (ابن علقمة اللخمي) في قرية كوفادونجا الجبلية (تعني كهف السيدة) ذات الطبيعة الشديدة الوعورة والكهوف. قاوم بيلايو وأعوانه مقاومة عنيفة مما أدى لقتل عدد من المسلمون وأجبروا على الانسحاب خاصة وأنه لم يتبق من جنود بيلايو سوى 30 شخصا وقالوا قولهم المشهور "ثلاثون علجا ما عسى أن يجيئ منهم".



CONFIDENTIAL

▫ **معركة بلاط الشهداء-**رمضان سنة 114هـ- اكتوبر 732م: فى ربيع سنة 732 م دخل المُسلمون (بقيادة عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى واليً الأندلس الذى تجمع الرواية الإسلامية على تقديره والإشادة بعدله وتقواه -بمصادقة الخليفة هشام بن عبد الملك فى صفر سنة 113 هـ ابريل 731 م) غاليس أو جاليس (فرنسا) مخترقًين ولاية أراجون فى الثغر الأعلى ونافار وعبر جبال البرنيه وتم فتح مدينة آرل الواقعة على نهر الرون لتخلفها عن أداء الجزية بعد معركة عنيفة نشبت على ضفاف النهر بينه وبين قوات الدوق أودو (أمير أكوتين) ودخل عبد الرحمن بردال "بوردو" بعد حصار قصير وفر الدوق للشمال إلى خصمه القديم كارل(شارل) مارتل [زعيم الفرنج فى فرنسا والمعروف كذلك بشارل المطرقة] يطلب منه العون والنجدة. وواصل عبد الرحمن زحفه إلى ان وصل مدينة سانس (تبعد عن باريس نحو 100 ميل فقط) وبذلك يعتبر الغافقى قد افتتح النصف الجنوبى لفرنسا كله من الشرق للغرب. اشتبك المُسلمون (خمسون ألفًا) والفرنجة (أربعمائة ألف) في رحى معركةٍ عنيفة- **معركة بلاط الشهداء** أو **معركة تور-** في موقع يقع بين مدينتي بواتييه وتورالفرنسيتين، وكانت بين قوات مسلمين تحت لواء الدولة الأموية،بقيادة والي الأندلس عبد الرحمن الغافقي من جهة، وقوات الفرنجة والبورغنديين بقيادة شارل مارتل جهة أخرى. نشبت المعركة الضخمة فاقتتلا حتى دخول الليل واستأنفا القتال فى اليوم التالى، وأبدى كلاهما منتهى الشجاعة والجلد ثم بدا الإعياء على الفرنجة ولاح النصر للمسلمين ولكن حدث عندئذ أن افتتح الفرنج ثغرة فى معسكر الغنائم الإسلامى وخُشى عليه من السقوط فى أيدي الفرنجة ، فارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة إلى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم وتواثب الكثير من الجند للدفاع عن غنائمهم فدب الخلل فى صفوف المسلمي. انتهت المعركة بانتصار قوات الفرنجة وانسحاب جيش المسلمين بعد مقتل قائده الغافقي. اعتبر مؤرخو الفرنجة في القرن التاسع نتيجة المعركة حكم إلهي لصالح الفرنجة، كما اكتسب شارل مارتل من حينها لقبه"Martellus" الذي يعني المطرقة. تفاصيل المعركة من حيث الموقع وأعداد القوات المشاركة من الطرفين لا يمكن تحديدها على وجه الدقة. إلا أنه من المؤكد، أن قوات الفرنجة انتصرت في المعركة دون أن يكون لديهم سلاح فرسان. أشاد المؤرخون المسيحيون المتأخرون في فترة ما قبل القرن

العشرين بشارل مارتل وعدّوه بطل المسيحية، واصفين المعركة بنقطة التحول الحاسمة في الكفاح ضد الإسلام، مما حفظ المسيحية كديانة لأوروبا. وعلى النقيض، انقسم المؤرخون الحديثون الآخرون حول أهمية المعركة، واختلفوا حول ما إذا كان الانتصار معقولاً ليكون سببًا لإنقاذ المسيحية وإيقاف الفتح الإسلامي لأوروبا. إلا أن المعركة أسهمت في تأسيسالإمبراطورية الكارولنجية-Carolingian وهيمنة الفرنجة -Franks على أوروبا في القرن التالي. ويتفق معظم المؤرخين على أن نشأة القوة الفرنجية في أوروبا الغربية حددت مصير القارة، وأن هذه المعركة أكدت سلطتها.

▫ **موقعة شقندة** –Secunda- بالأندلس عام 130هـ- 747 م. كانت بين يوسف الفهري وحلفائة القيسية بقيادة الصميل بن حاتم بن ذي الجوشن، واليمانية بقيادة أبو الخطار الكلبي وانتهت بانتصار القيسية- بعد وفاة ثوابة بن سلامة الجذامي(ولي الأندلس لعام ونصف ضبط خلالها أحوالها بمعاونة حليفه الصميل وسجن أبي الخطار الكلبي الوالي السابق) في عام 129 هـ، ، اختلف أهل الأندلس لأربعة أشهر على من يلي الأمر، تولى خلال تلك الفترة القضاء عبد الرحمن بن كثير اللخمي، حتى استقر الأمر في ربيع الأول 129 هـ ليوسف بن عبد الرحمن الفهري(جده عقبة بن نافع وهو فاتح المغرب العربي، وباني مدينة القيروان ووالي إفريقية أيام معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية في الشام وأوّل خلفائها) بدعم من حليفه الصميل بن حاتم بن ذي الجوشن (زعيم القبائل القيسية المضرية في الأندلس)، على أن يتناوبوا عليها كل سنة، وهو ما لم ينفذه يوسف بعد انقضاء السنة، وهو ما عارضه يحيى بن حُريث الجذامي، الذي هاجم سجن أبي الخطار الكلبي وحرّره. ثم جمع أبو الخطار وابن حريث العرب اليمانية، وجمع يوسف والصميل العدنانية(القيسية والمضرية)، واقتتلا عام 130 هـ في معركة شقندة، يوسف الفهري وحلفائة القيسية بقيادة الصميل بن حاتم بن ذي الجوشن، واليمانية بقيادة أبو الخطار الكلبي وانتهت بانتصار القيسية وانهرمت اليمانية، وقُتل أبي الخطار وابن حريث؛ وأتى بالأسرى فقعد لهم الصميل، وضرب أعناقهم جميعا.

□□ **معركة الزَّاب الكبرى** أو **الزاب الأعلى** -11 من جمادى الآخرة عام 132 هـ- 25 يناير 750 م: معركة وقعت في عام 132 هـ قرب نهر الزاب الكبير وهو أحد روافد نهر دجلة في شمال العراق. وقعت بين الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد وعبد الله بن علي(أمير عباسي، هو عمُّ الخليفتين أبو العباس عبد الله السفاح وأبو جعفر المنصور، طالب بالخلافة أيام المنصور فهزمه أبو مسلم الخراساني، وقد مات سجيناً). التقى الجيشان في منطقة الزاب بين الموصل وأربيل، حيث فتك عبد الله بالأمويين فهزمهم ومزق جيوش مروان ولج في طلبه وطوى البلاد حتى نازل دار الخلافة الاموية في دمشق فحاصرها أياما وأخذها بالسيف وقتل خلقا كثيرا من اهل دمشق ، ثم جهز في الحال أخاه صالح بن علي في طلب مروان. فر مروان إلى مصر. أدركه صالح في مدينة أبي صير حيث قتله فكان آخر خلفاء بني أمية في الشام. وبمقتله انتهت عمليًا الخلافة الأموية ولذلك تعد إحدى المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي، ولم يترك العباسيون أحدًا من بني أمية صغيرا كان أو كبيرا إلا نالته السيوف الثائرة فلم ينجُ من الأمويين إلا عبد الرحمن بن معاوية المُلقب بـعبد الرحمن الداخل، الذي بدوره فر إلى الأندلس وأسس الدولة الأموية الثانية بها.

◘ **معركة المُصَارَة أو المُسَارَة-** 9 ذي الحجَّة 138هـ المُوافق 11 أيَّار (مايو) 756م: أحدث دُخول عبد الرحمٰن بن معاوية إلى الأندلُس في ربيع الآخر سنة 138هـ -سبتمبر 755م ردَّ فعلٍ إيجابيّ من جانب أنصاره من الموالي(عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وتمام بن علقمة) وغيرهم من اليمنيين، فتوافدوا عليه للسَّلام والبيعة.وبلغت الأحداث مسامع يُوسُف الفهري، آخر وُلاة الأندلُس، فحاول بدايةً التفاوض مع الأمير الأُموي بعد أن رأى كثرة أنصاره واتساع شعبيَّته، ففشل، وكان لا بُد من الصِّدام العسكري لِتقرير مصير الأندلُس، وفي ضُحى يوم 9 ذي الحجَّة 138هـ المُوافق فيه 11 أيَّار (مايو) 756م، دارت معركةٌ حاسمة بين الطرفين(**معركة المُصَارَة** قرب قرطبة) انتهت بنصر عبد الرحمٰن. ومع أن معركة المصارة كانت معركة عنيفة ولكنها كانت قصيرة، فلم يأت الضحى حتى مزقت خيل يوسف، وهزم جيشه هزيمة شديدة، ونهبت أسلابه، وقتل كثير من وجوه القيسية والفهرية، إلا أن عبد الرحمن بن معاوية حمل جنده ما استطاع على

الاعتدال والقناعة، وحمى أسر خصومه وحريمهم وأموالهم من العيث. وفر يوسف صوب طليطلة، حيث كان ولده عبد الرحمن، وفر الصميل صوب جيان. استثمر عبد الرحمن بن معاوية انتصاره بأن تقدَّم نحو قُرطُبة ودخلها، وتربَّع على العرش في قصر الإمارة، وبايعه الناس البيعة العامَّة، ثُمَّ أدّى صلاة الجُمُعة في المسجد الجامع، وخطب بالنَّاس مُعلنًا قيام الإمارة الأُمويَّة، ومُوضحًا سياسته القائمة على العدل والإحسان ، في عهدٍ جديدٍ قائمٍ على أُسسٍ سياسيَّة بعيدةٍ عن العُنصُريَّة والقبليَّة من واقع تحجيم نُفوذ زُعماء القبائل وإحلال سُلطة الدولة مُمثلة بالأمير، محل سُلطة القبائل. تم الصلح بين الطرفين في عام 140 هـ ، وانتقل يوسف و ولده عبد الرحمن الفهري ، وصمويل إلى قُرطُبة، وعمل عبد الرحمن على تقدير يوسف وتقدير مكانته، ولكن لم يمض عام حتى ثار يوسف على عبد الرحمن مرة أخرى، وتقدم يوسف إلى أشبيلية وقام بحصارهم وتقاتل مع عبد الملك وأبنه وانهزم يوسف وتفرق من معه، وفر يوسف ولكنه قتل على يد عبد الله بن عمر الأنصاري.

▫ **معركة الزلاقة** -12 رجب 479هـ 23 أكتوبر 1086م: نتيجة لِسُقوط طُليطلة (مُحرَّم 478هـ -مايو1085م) و التمزّق السياسي وتفرّق كلمة المُسلمين بالأندلس وانقضاض اللاتين الإفرنج على البلاد ونهشها القلعة تلو الأُخرى، إلتمس الأندلُسيين المُساعدة من دولة المُرابطين بالمغرب الأقصى (لأنَّهم أصلح من الهلاليين في أفريقية،وأقرب منهم إلى الأندلُس) ، خُصوصًا بعد أن أمعن ألفونسو السادس في إذلال مُلوك الطوائف المُجاورين لِبلاده وفي تطاوله على الإسلام. وطلب من أمير المُرابطين(يُنسب المرابطون إلى قبيلة جدالة بموريتانيا; وكان المجاهدون أو المرابطون يتخذون خيامًا يحمون فيها ثغور المسلمين- شيخهم عبد الله بن ياسين) يُوسُف بن تاشفين الصنهاجي العُبور إلى الأندلُس لِمُساعدة الأندلُسيين, وسلَّموه رسالة مكتوبة من المُعتمد بن عبَّاد(ملك إشبيلية وقرطبة) يُبيِّن فيها ما تتعرَّض لهُ المُدن والحُصون من الغارات المُدمِّرة من جانب المملك النصرانيَّة، ويدعوه للعُبور إليه وإغاثة المُسلمين, وتنازل المُعتمد عن مدينة الجزيرة الخضراء كي يتصرف بها الجيش المُرابطي بحُريَّة ويتمكن من عُبور البحر متى شاء. والتحم الجيشان الصليبي (ألفونسو السادس) والإسلامي (بن

تاشفين) في سهل الزلاقة يوم12 رجب 479هـ / 23 أكتوبر 1086م. لما اشتد القتال على جيش ألفونسو ودام القتال لساعات، أصبح ألفونسو وجيشه بين مطرقة ابن عباد وسندان ابن تاشفين، واستطاع أحد حرس ابن تاشفين الخاص الوصول لألفونسو، وطعنه في فخذه، طعنة نافذه ، وأدرك ألفونسو وقادته وفرسانه أنهم يواجهون الموت، فبادر مع قليل من أصحابه واعتصموا بتل قريب من موقع المعركة، ومن ثم انسل تحت جنح الظلام منهزمًا إلى قورية، وبهذا النصر انتهت معركة الزلاقة التي لم تستمر إلا يومًا واحدًا. انتصر المُسلمون في الزلاقة نصرًا كبيرًا قورن بِنصرالقادسيَّة واليرموك، وكانت هزيمة ساحقة لمسيحيي أيبيريا. وكانت أولى نتائج الزلاقة هي إنقاذ الأندلس من حركة الاسترداد التي رفع شعارها ألفونسو السادس، وإرغام ألفونسو على رفع الحصار الذي كان مفروضًا على أمهات مدن الأندلس. و ترسخت زعامة ابن تاشفين على الصعيد السياسي في الأندلس والمغرب بدون منازع،، و لُقِّب يُوسُف بن تاشفين «أميرُ المُسلمين»، كما أدرك ألفونسو وجيرانه من حكام شمال أيبيريا قوة المرابطين.

▫ **معركة وادي آش**-Guadix - يونيو 1126: في يونيو 1126 م انسحب جيش ملك أراغون بعد أن تفشى الطاعون في صفوفه وقدوم قوات دعم مرابطية، والتي هزمته في **وادي آش** (مسقط رأس ابن طفيل و بها كهوف كثيرة) شمال شرق غرناطة.

▫ **معركة الأرك** في 18 يوليو 1195 /9 شعبان 591 هـ**:** هي معركة فاصلة وقعت بين قوات الموحدين بقيادة السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور وقوات ملك قشتالة ألفونسو الثامن. انتصر فيها الموحدون بقيادة المنصور يتقدمهم لواء الموحدين الأبيض المكتوب عليه**" لا اله إلا الله محمد رسول الله ولا غالب إلَّا الله"** على الملوك النصرانيين. قام المسلمون بعد انتهاء المعركة بحصار قلعة الأرك التي كان قد فر إليها الجيش القشتالي، لوبيز دي هارو ومعه 5 آلاف من جنده. قاوم المسيحيون قليلا ثم اضطروا للاستسلام وطلبوا الصلح فوافق المنصور مقابل إخلاء سبيل من أُسر من المسلمين واضطر ألفونسو بعدها لطلب الهدنة من المنصور. يذكر ابن خلدون أن عدد القتلى 30 ألفا وجعلهم ابن الأثير 146 ألفا و13 ألف

أسير. وقد كان للمعركة دور كبير في توطيد حكم الموحدين في الأندلس وتوسيع رقعة بلادهم فيها.. يعتبرها المؤرخون مضاهية لمعركة الزلاقة في وقع الهزيمة على مسيحيي أيبيريا.

▫ **معركة حصن العُقاب** (نافاس دى تولوسا-Las Navas de Tolosa ) في 17يوليو سنة 1212م-15 صفر 609هـ: كانت معركة **الأرك** قد تركت تلك المعركة أثرا في قلب ألفونسو الثامن الذي كانت تحدث نفسه بالانتقام على الرغم من أنه اضطر إلى عقد هدنة مع الموحدين. و استغل الملك ألفونسو الهدنة في تحصين مملكته وكذلك في تأليب بقية مسيحيي أوروبا ضد المسلمين. تجمعت قوات الملك ألفونسو الثامن ملك قشتالة ومنافسوه السياسيين سانتشو السابع ملك نافارة وألفونسو الثاني ملك البرتغال وبيدرو الثاني ملك أراغون و رودريغو(أسقف توليدو) ضد قوات الموحدين(التي جاءت من شتى مناطق الدولة للمشاركة في المعركة) حكام الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة الأيبيرية ومناطق واسعة من شمال وغرب أفريقيا بقيادة السلطان محمد الناصر. الموحدين تلقوا هزيمة قاسية على يد النصرانيين وانسحبوا عائدين إلى إشبيلية. فر الناصر مكرها، بعد أن رأى هزيمة جيشه ومقتل ابنه على أرض المعركة فجلس في خيمته منتظرا الموت أو الأسر إلا أن جموع المسلمين المنسحبة أجبرته على الفرار معها فانطلق حتى وصل إلى إشبيلية ومنها إلى مراكش حيث توفي بعد فترة قصيرة في عام 1213 م. وأشار الشاعر ابن الدباغ الإشبيلي إلى وقع هذه الكارثة حدث بقوله :

فقلت لها أفكر في عقاب ** غدا سببا لمعركة العقاب

فما في أرض أندلس مقام ** وقد دخل البلاَ من كل باب

وقد بالغت الروايات الأسبانية فزعمت أن قتلى المعركة بلغ مائة ألف، حتى اعتبر الأسبان يوم 16 يوليو عيد انتصار. شكلت تلك المعركة نقطة تحول في تاريخ شبه جزيرة أيبيريا ولم تقم للمسلمين بالأندلس بعد هذه المعركة قائمة. بعد سقوط دولة الموحدين في الأندلس على يد المسيحين وسقوط معظم أجزائها في أفريقيا على يد



CONFIDENTIAL

القوى المحلية قامت دولة المرينيون على أراضي دولة الموحدين وقاموا بعدة معارك في بلاد الأندلس ولكن النصر لم يكن حليفهم فيها. لم يتبق للإسلام في الأندلس سوى غرناطة التي صمدت خلف حصونها المنيعة وبقي بنو الأحمر يحكموها حتى عام 1492 م.

□□ انتهاء **الحرب الاهلية القشتالية** في حوالي عام 1480م واعتلاء ايزابيلا الاولى على العرش.

▫ **معركة لوسينا - ظاهر قلعة اللّسانة -** عام 1483م/ سنة 887 هـ: بعد حرب أهلية دموية وبعد تحرير ابنها ابو عبد الله محمد الثاني عشر (معروف فى المصادر الإسبانية باسم بوأبديلBoabdil) من أحد ابراج قصر الحمراء حيث كان سجينًا من قبل والده السلطان أبو الحسن على، حثت عائشة الحرّة ابنيها على الفرار إلى وادى آش حيث نُصب ابو عبد الله ملكًا مكان أبيه على عرش غرناطة وفى الخامس من يونيو-عام 1482م ، وعمره 25 سنة. وأراد ابو عبد الله أن يحذو حذو المجاهدين فخرج في قوات هزم بها النصارى في عدة معارك ، ولما عاد مثقلاً بالغنائم داهمه النصارى في **ظاهر قلعة اللّسانة،** فخسر المعركة وأسر على أثرها في لوسينا عام 1483، ، وعاد الجيش دون ملكه. قيل ان عائشة عندما وقع ابنها ابو عبد الله اسيرًا لمدة عامين عند القشتالين، تفاوضت معهم وتم تحريره، ولم يفك أسره حتى وافق على أن تصبح مملكة غرناطة تابعة لفرناندو وإيزابيلا ملوك قشتالة وأراجون.

CONFIDENTIAL

جدول (1) **محطات السقوط في الأندلس و أهم المعارك**

| محطات السقوط في الأندلس | أهم المعارك |
|---|---|
| | ○ **معركة وادي لكة** أو **سهل البرباط-** رمضان 92 هـ/ يوليو 711 م. |
| | ○ **معركة تولوز-** 9 ذي الحجة 102 هـ/9 يونيه 721 م |
| | ○ **معركة كوفادونجا (مغارة دونغة)-** أواخر صيف عام 722 م |
| | ○ **معركة بلاط الشهداء** أو **معركة تور** - رمضان سنة 114هـ- اكتوبر 732م |
| ● **سقوط بامبلونا بشمال البلاد عام 748 ميلادي** | ○ **موقعة شقندة** –Secunda-بالأندلس عام 130هـ- 747 م |
| | ◙◙ **معركة الزّاب الكبرى** أو **الزاب الأعلى** -11 من جمادى الآخرة عام 132 هـ- 25 يناير 750 م (في شمال العراق) |
| | ○ **معركة المُصَارَة** أو **المُسَارَة-** 9 ذي الحجَّة 138هـ المُوافق فيه 11 أيَّار (مايو) 756م |
| ● **سقوط برشلونة عام 801 ميلادي** | |
| | |
| ● **سقوط مدينة سنتياغو عام 997 للميلاد** | |
| ● **سقوط مدينة ليون عام 1002 ميلادي** | |
| ● **سقوط مدينة سلمنقة عام 1055 للميلاد** | |
| ● **سقوط مدينة قلمرية عام 1064 للميلاد** | |
| ◙◙ **سقوط مدريد عام 1084 للميلاد** | |
| ● **سقوط طليطلة (توليدو) مُحرَّم 478هـ - مايو عام 1085 للميلاد** | |
| | ○ **معركة الزلاقة -**12 رجب 479هـ 23 تشرين الأوَّل (أكتوبر) 1086م |
| | ○ **معركة وادي آش-**Guadix يونيو 1126 م |
| | ○ **معركة الأرك** في 18 يوليو 1195 -9 شعبان 591 هـ م |
| | ○ **معركة حصن العُقاب** (نافاس دى تولوسا) سنة 1212م(17يوليو)-15 صفر 609هـ |
| ● **سقوط قرطبة في شوال عام 633هـ يونيه 1236م** | |

CONFIDENTIAL

| | |
|---|---|
| ● **سُقوط إشبيلية في الإثنين 5 شعبان 646هـ المُوافق 23 نوقمبر 1248م** | |
| ◘ **سقوط سبتة (Ceuta) المغربية 21 أغسطس 1415: تحت سيطرة البرتغال*** | |
| ◙◙ **فتح القسطنطينية 29 مايو 1453م، الموافق 20 جمادى الأولى سنة 857 هـ** | ◙◙ **انتهاء الحرب الاهلية القشتالية** في عام 1480م واعتلاء ايزابيلا الاولى على العرش. |
| ● **سقوط لوخا في عام 1486م** | ○ **معركة لوسينا- ظاهر قلعة اللّسانة-** عام 1483م -سنة 887 هـ |
| ● **سقوط مالقة (مالجة) عام 1487 للميلاد** | |
| ● **سقوط غرناطة في الإثنين 1 ربيع الأوَّل 897هـ 2 يناير 1492م** | |
| ◘ **سقوط مدينة مليلية المغربية عام 1492** | |

* سقوط سبتة- أغسطس 1415م - تحت سيطرة البرتغال على يد الملك جواو الأول، وفي عام 1580 قامت إسبانيا بضم البرتغال إلى مملكتها، وذلك بعد وفاة ملك البرتغال سيباستيان الأول.

CONFIDENTIAL

# الباب الثالث

## إسهامات حضارة الأندلس

CONFIDENTIAL

# إيجابيات حضارة الأندلس

كانت أسبانيا قبل الفتح قد ملكها الرومان حتى القرن الخامس للميلاد، ثم انقضت القبائل البربرية الجرمانية على أسبانيا، ولم يلبث القوط أن قهروهم واستولوا على أسبانيا في القرن السادس للميلاد وظلوا سادتها إلى أن جاء العرب. وقد اختلط القوط بالسكان الأسبان – الرومانيين، فاتخذوا اللاتينية لغة لهم، وتحولوا من الآريوسية إلى المذهب الكاثوليكي. كان سكان البلاد الأصليون من الأرقاء، و كانوا مستعدين لقبول أي سلطان عليهم، كما أن التنافس على عرش أسبانيا أدى إلى نزاع سياسي اجتماعي، وفتن داخلية، وفقدان الروح العسكرية، وفتور عن الدفاع بين الأهلين المستعبدين. كان اختلاط القوط باللاتينيين قبل حركة التحرير العربي مقتصراً على علية القوم، و بعد أن طرد العرب البيزنطيين من شمال أفريقيا فكروا في تحرير أسبانيا. ولم يكن الفتح العربي لأسبانيا احتلالاً عسكرياً بل كان حدثاً حضارياً هاماً وحركة تحرير للشعوب الأسبانية فقد أمتزجت حضارة سابقة كالرومانية والقوطية مع حضارة جديدة هي الحضارة العربية الاسلامية، ونتج عن هذا المزج والصهر حضارة أندلسية مزدهرة أثرت في الحياة الأوربية وتركت آثاراً عميقة مازالت تتراءى مظاهرها بوضوح حتى اليوم. ولم يكد العرب يتمون تحرير أسبانيا حتى بدأوا بتطبيق رسالتهم الانسانية في الحضارة فاستطاعوا في أقل من قرن أن يحيوا ميت الأرضين، ويعمروا خراب المدن ويقيموا أفخم المباني، ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بالأمم الأخرى، وشرعوا بدراسة العلوم والآداب وترجمة كتب اليونان واللاتين، وإنشاء الجامعات التي ظلت وحدها ملجأ للثقافة في أوربا زمناً طويلاً، وأخذت حضارة العرب تنهض في الأندلس منذ ارتقاء عبدالرحمن الأول العرش، أي منذ انفصالها عن الشرق سياسياً باعلان إمارة قرطبة سنة 138هـ/ 756م فغدت الأندلس أرقى دول العالم حضارة مدة ثلاثة قرون.

أقام المسلمون نظام الأمارة ثم الخلافة على غرار النظم العربية في المشرق، كما استحدثوا نظام الوزارة والدواوين كتلك التي كانت سائدة أيام الخلافة العباسية في بغداد، لكنهم طوروا في هذه المناصب، وخاصة الوزارة، حيث أصبحت متعددة

المناصب ولها رئيس وزراء وهو الحاجب. كما عرف الأندلس نظام الأجناد أو (الكور المجندة) التي ينزلها الجند ويقابلها الثغور، يحكمها قائد عسكري، فنزل جند دمشق في كورة البيرة، وجند حمص في كورة أشبيلية وجند الأردن في كورة مالطة، وجند قنسرين في كورة باجة.

## كيف ساهم المسلمون في نهضة أوروبا

بعد الفتح العربي لأسبانيا و مع استكمال حركة تحرير أسبانيا، استقر العرب والبربر مع سكان البلاد، وكان للسلوك العربي الانساني أثر كبير في تآلف القلوب إذ لم يلبث العرب أن أنسوا إليهم وحصل التزاوج والمصاهرة بينهم فنشأت طبقة اجتماعية جديدة هي طبقة المولدين التي هي خليط من دم أهل البلاد الأصليين ودم العرب والبربر، كما ظهرت طبقة جديدة أخرى هي طبقة المستعربين وهم الأسبان المسيحيون الذين ظلوا على ديانتهم المسيحية، ولكنهم تعربوا بعد دراسة اللغة العربية وآدابها وثقافتها وأحسن العرب سياسة سكان أسبانيا، فقد تركوا لهم كنائسهم وقوانينهم وأموالهم وحتى المقاضاة إلى قضاة منهم، ولم يفرضوا عليهم سوى جزية سنوية صغيرة، ولم يبق للعرب إلا أن يقاتلوا الطبقة الأرستقراطية المالكة للأرضين. وحرص العرب على الوفاء بعهودهم لأهل الذمة حتى في الحالات التي كان يبدو للمسلمين أنهم خدعوا فيها، وقد وفى العرب رغم ذلك فقال الرازي: (فمضوا (العرب) على الوفاء لهم وكان الوفاء عادتهم). المسلمون في الأندلس نقلوا الأخلاق قبل العلوم، فعلموا أوروبا التسامح منذ مئات السنين ثم نقلوا لهم العلوم والحضارة من خلال جامعاتهم العريقة اليوم والتي نهلت من معين قرطبة وغرناطة واشبيلية وغيرها. فالكيمياء لا يعرفون عنها شيئا البتة، إكتشفها العرب إسماً وعلماً وأبدعوا فيها.

## أ. التسامح الطائفي- تسامح المسلمين

رغم اعتبار أوروبا أن الأندلس أرضاً محتلة والمسلمين غزاة ، لكن الأندلس كانت أرضية خصبة للتسامح الطائفي بين أمراء وعلماء وشعوب المسلمين والمسيحيين واليهود. لم يهدم المسلمون الكنائس والمعابد ولم يرغموا الديانات الأخرى بإعتناق الإسلام قسرا كما فعلت الكنيسة الكاثوليكية عندما طرد المسلمين من الأندلس. لم يلمسوا أموالهم ما عدا الجزية التي يفرضها الإسلام على غير المسلمين. لقد أثر

العرب في أخلاق الشعوب النصرانية فقد علموهم التسامح الذي هو أثمن صفات الانسان، وبلغ حلم عرب الأندلس نحو الأهلين مبلغاً كانوا يسمحون لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر أشبيلية الذي عقد سنة 782م، ومؤتمر قرطبة الذي عقد سنة 852م، وتعد كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها أيام الحكم العربي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم، فغدا اليهود والنصارى مساوين للمسلمين قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة. ورغم بُغض الأمويين من المذهب المالكي للتشيّع فقد كان هناك وجوداً كبيراً للتشيع في برشلونة وسرقسطة وبلنسية. وفي مثل هذا الجو من التسامح أصاب البلاد الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي بحيث أصبحت الأندلس أكبر قوة سياسية في المنطقة، وعلى الرغم من هذا التسامح العظيم، فقد ظهر فرق واضح بين هذه السياسة المتسامحة، وبين سياسة الاضطهاد الأعمى الذي وقع على المسلمين بعد سقوط الأندلس، حيث ذبح نصارى الأندلس أعداداً كبيرة من المسلمين، وحتى أنهم رفضوا تنصر من تنصر منهم لعدم الثقة بهم وبنواياهم. مسجد قرطبة قبل أن يكون مسجداً كان موقعاً لكنيسة كاثوليكية وعندما فتح (غزا) المسلمين اسبانيا في العام 711م ، قُسِّمت الكنيسة نصفان: جزء للمسلمين وجزء للمسيحيين. وتم هذا التقاسم بينهم حتى عام 784م عندما اشترى عبدالرحمن الداخل الشطر المسيحي ثم أقام عليه المسجد الكبير. ولكن بعد تحرير الأندلس من المسلمين، ناشد مسلمو إسبانيا أن يسمح لهم بالصلاة بعد أن تم تحويل المسجد الكبير إلى كنيسة ، ولكن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية والفاتيكان رفضت طلبهم حتى هذا اليوم. لقد كان تأثير العرب الخلقي على الأندلس وعلى أوربا كبير جداً، فقد أشار لوبون ما ذكره سبوباونلي في كتابه عن القرآن بقوله: (أسفرت تجارب العرب وتقليدهم عن تهذيب طبائع سنبوراتنا الغليظة في القرون الوسطى وتعلم فرساننا أسمى العواطف وأنبلها وأرحمها من غير أن يفقدوا شيئاً من شجاعتهم).

# ب. إنجازات المسلمين

لقد مزج العرب في الأندلس علومهم وفنونهم وعبقريتهم مع الحضارات السابقة وقدموا للعالم حضارة أندلسية نقلت أوروبا من الجهل وعصور الظلام الى عصور النهضة. كانت الإنجازات العلمية والطبية والثقافة والفنون والعمارة في الأندلس فخر لكل العرب. إن كل ما ذكر عن عصر النهضة الأوروبي الذي أطلق عليه الولادة الجديدة ، لم يكن ولادة جديدة إنما نسخ تام لكل ما قدمته الأندلس لأوروبا المتخلفة الغارقة في ظلام الجهل. فقد افتتحت الجامعات الأوروبية مثل أوكسفورد وكيمبردج وروما وفلورنس وجلاسجو وميونخ بين 1100 و 1500م وهي حقبة إنتهاء العصر الأندلسي في إسبانيا. لكن أغلب مؤلفي الغرب يحاول إنكار علوم العرب التي نقلتها أوروبا منهم ولكن بعضاً من مؤرخيهم الصادقين اعترفوا بفضل العرب والمسلمين. امتازت حضارة العرب في الأندلس بميلها الشديد إلى العناية بالآداب والعلوم والفنون، فأنشأوا المدارس والمكتبات في كل ناحية وترجموا الكتب المختلفة، ودرسوا العلوم الرياضية والفلكية والطبيعية والكيمياوية والطبية بنجاح ولم يكن نشاطهم في الصناعة والتجارة أقل من ذلك، فكانوا يصدرون منتجات المناجم ومعامل الأسلحة، ومصانع النسائج، والجلود والسكر وبرعوا في الزراعة براعتهم في العلوم والصناعات، ولا يوجد في الأندلس من أعمال الري خلا ما أتمه العرب، وأدخلوا إلى حقول الأندلس زراعة قصب السكر والأرز والقطن والموز. وأكثروا من انشاء الطرق والجسور والمشاتي والمساجد في كل مكان، وكانت البحرية العربية في الأندلس قوية جداً، وبفضلها كانت تتم صلات العرب التجارية بجميع مرافئ أوربا وأفريقيا وآسيا، وظل العرب وحدهم سادة البحر المتوسط زمناً طويلاً.

## ● الإنجازات العلمية والطبية

تأثر المسلمون بالعلوم اليونانية والهندية. وكان علماء المسلمين يسعون للحصول على الكتب العلمية والطبية وترجمتها الى العربية. وكمثال ، ترجم اسطفان بن باسيل وهو تلميذ أبو زَيْد بن إسحق العِبَادي كتاب الحشائش لديسقورديس وترجم أبو

زَيْد بن إسحق العِبَادي ، وهو مسيحي وطبيب الخليفة المتوكل وقد سكن الحيرة في العراق ، أعمال جالينوس وأبقراط وأرسطو والعهد القديم من اليونانية. كان ذلك قبل الحقبة الأندلسية وبعدها بقليل. ثم إستقلت الحركة العلمية وتحررت في الأندلس واعتمدت على علمائها مثل الزهراوي والزرقالي وعباس بن فرناس والحراني والإدريسي وابن رشد وابن البيطار وغيرهم الذين أضافوا ووسعوا هذه العلوم وإبتدعوا واكتشفوا ووثقوا إنجازاتهم. وقد كانت قرطبة اكبر مدينة في العالم يقطنها اكثر من مليون شخص وبها المكتبات والحمامات العامة والشوارع المضيئة والجامعات. وكان الناس يتكبدون مشقة السفر للدراسة في الأندلس.

1) في مجال **الرياضيات** والحساب: قدم المسلمون علوم الجبر والرموز والمعادلات والأرقام العربية التي سهلت الأرقام الرومانية المعقدة واللوغارثمات (الخوارزميات) وطرق لحل المعادلات من الدرجة الثالثة ومعادلات وقوانين النسب المثلثية والحساب.

2) في مجال **الفيزياء** : وثق علماء العرب انجازاتهم واكتشافاتهم لعلوم القوة والعزوم والصفات الميكانيكة. كما شرح العرب مركز الجاذبية الأرضية ووصفوا الجاذبية. كما رسموا الأجسام الهندسية المتشابهة وطوروا مكثاف الغازات ومقياس ثقل السائل النوعي والذراع والتوازن والميزان المتدرج وقاسوا الجاذبية النوعية للعديد من المواد. كما صنعوا البندول وساعة الحائط والزنبرك.

3) في مجال **الكيمياء** : قدم علماء العرب المسلمون الكثير مثل النظرية الذرية للمادة وطوروا عمليات التبخر من السائل الى الغاز ومن الصلب الى الغاز والتبلور والتقطير والترشيح والصباغة والذوبان. وأدخلوا صناعة الحديد وأشغال المعادن وطرق تلوين القماش والنسيج. وحددوا الكثير من التحضيرات الكيميائية الضرورية، مثل أحماض الكبريت والنترات وكلوريد الهيدروجين كلوريد الأمونيوم ونترات الفضة وأكاسيد الزئبق والكلوريدات والكبريتات الأخرى والصوديوم. كما طوّروا طرق كيميائية ومعادلات

لصناعة الزجاج والصابون والعطور والرتنجات والزيوت والدهون والأصباغ والورق والسكر والبارود. وأدخلوا استخدام الجرار والقوارير.

4) في مجال **الطب** : نبغ علماء العرب في مجال الطب ا الذي استفادت منه الحضارة البشرية جميعها فقد نبغوا بطب النساء وبعمليات التوليد وكتبوا المراجع الطبية وقدموا علاجات واجراءات طبية وجهزوا الدهانات الطبية واكتشفوا الدورة الدموية والدورة التنفسية ووظائف الرئة وحددوا طبيعة وعدوى مرض السل. ووضحوا كيفية إنتشار المرض بالماء والتربة وقاموا بعلاجات وعمليات للعين والأذن والأسنان. صنع المسلمون اكثر من مائتين آلة جراحية وحددوا 130 مرضاً للعين. ووصفوا 143 دواءً. كما رتقوا الجروح بواسطة النمل العادي والنمل الأبيض.

5) في مجال **الصيدلة**: الصيدلة جهز علماء العرب الكحول والنترات والكربونات والأحماض والبكروتوكسين (يعالج الصرع) وجهزوا ادوية كيماوية على شكل اقراص ودواء سائل. كانت هناك صيدليات مفتوحة لصرف الدواء. ونجد اليوم في اوروبا الكثير من أسماء الدواء والأعشاب الطبية العربية مثل الحناء والكحول والكالي (الليثيوم والبوتاسيوم والصوديوم) والقطن والزعفران والياسمين الكركم الإكسير والحشيش والسماق والطرطير. وهناك الكثير مثلها في الطب مثل الأورطي والقولون والقرنية والنخاع والرسغ والبند (الرباط) والقناة والقسطرة والجلط واللجم.

6) في مجال **الفلك** و**الجغرافية** : في علوم الفلك صنع المسلمون الإصطرلاب والسدسيات الملاحية وجهزوا مراجع النجوم لحركة الكواكب. وأطلقوا مائتين اسم عربي على النجوم وبرهنوا على أن الأرض كروية وقاسوا طول الدرجة الأرضية وحددوا قطر ومحيط الأرض وقاسوا درجة ميلان الشمس على الأرض ووضعوا الكواكب والنجوم على رسوم بيانية بمداراتها. توصل علماء العرب في الأندلس إلى حقائق علمية رائدة، في علم الفلك (علم الهيئة) منهم صاحب القبلة أبو عبيدة البلنسي (295هـ- 907م) الذي قال بكروية

الأرض واختلاف المناخ في أنحائها. كان الغرب يعجب لماذا يدرس العرب الفلك منذ تلك الحقبة من الزمن. كان العرب مهتمين بهذه العلوم لأنهم يستخدمونها في الملاحة وفي تحديد القبلة واوقات الصلاة. اخترع المسلمون أيضا الكثير من الأجهزة **الجغرافية** وأدوات المسح وجهزوا الكثير من خرائط العالم المفصلة للطرق البرية والبحرية ، وقاسوا وكتبوا الكثير عن التقويم الفلكي والرياح الموسمية للمحيطات والبحار.

7) في مجال **الزراعة** : كان علماء العرب المسلمون يعملون للأجيال القادمة في مجال الزراعة و نظام الماء وري المحاصيل(قنوات الري والنواعير). فمن خلال الساقيات رفعوا مياه النهر لإيصالها الى المساكن كما شقوا أفلاجاً بسيطة لتوصيل مياه الجبال لتسقي البيوت والمحاصيل بدون أن يدمروا البيئة. وتستخدم هذه الأنظمة في غرناطة حتى يومنا هذا.

## ● الإنجازات الصناعية

أدخل المسلمون منتوجات أندلسية غيرت حياة الأوروبيين من عصور الظلام الى الإزدهار مثل كرات القطن والورق والعملات الورقية والطوابع البريدية والمناديل وتجليد الكتب والتقاويم ودوائر المعارف والمرآة والزجاج الملون ومصابيح الشوارع والحرير وقماش الستان والكتان والفرو الجميل والمخمل ودواء الجروح والأسلحة وبلاط السيراميك والساعات والإسطرلاب الفلكي وبوصلات الملاحة والكرات الأرضية ومساطر الرياضيات وأدوات الجراحة والطاحونات الهوائية والعجلات الدائرة وماء الورد والملح والفلفل والقرفة والحمضيات ورحيق الفواكه ومزيلات الروائح والخرائط وحامض النيتريك والصابون و صناعة السجاد والنظارات والستائر وأنابيب الإختبار والبورسلين. كل هذه المنتوجات تم توظيفها ببساطة لإستخدام المجتمع الغربي فوراً وبسهولة لبساطة التصميم وتوثيق طريقة الصناعة. ومما ساعد على انتشار الكتب وازدهار الحياة العلمية انتشار صناعة الوراقة في الأندلس حيث تولى الوراقون نسخ ما يظهر من مؤلفات، كما اشتهرت الأندلس بمصانع الورق، وتميزت بهذا الانتاج بعض المدن مثل غرناطة وبلنسية

وطليطلة، وشاطبة، وقد حاز مصنع شاطبة شهرة واسعة في صناعة الورق الجيد. وقد نقلها عرب الأندلس من بغداد التي أنشئت عام 794م كما انتقلت منها بواسطة عرب صقلية والأندلس إلى أوربا.

## ●إنجازات فنون العمارة

تشتهر الأندلس اليوم عالمياً بفنون العمارة. و تزور مدن الأندلس شعوب العالم أجمع وتقف طوابيراً في حر الصيف لتفوز بمشاهدة المنشآت الأندلسية المعمارية العظيمة مثل جامعة قرطبة وفن العمارة العربي في طليطلة ومنارة أشبيلية والقصر الأشبيلي. ويضيف قصر الحمراء التنوع في الهندسة التشكيلية والزخرفية لفن العمارة العربي. أما مدينة الزهراء التي بناها عبدالرحمن الناصر خارج قرطبة(شمال غرب قرطبة على سفح جبل العروس ومازالت تحتفظ باسمها العربي في اللغة الأسبانية، وبنى فيها قصره المشهور بقصر الحمراء) فهي تحفة هندسية في النقوش والنحت. ولا يزال جامع قرطبة قائماً بروعته رغم التلف الذي أصابه ومحاولة تغييره. كما تعد منارة أشبيلية (لعبة الهواء) التي أنشأها الموحدون في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد والقصر الأشبيلي من آثار الدور الوسيط لفن العمارة العربي. سيتأمل الزائر للأندلس روعة الأبراج والأبواب والأسقف والأعمدة والقباب والقصور والمساجد والمشربيات وشرفات المآذن والأبراج والسياجات والبيوت الأندلسية والنوافير ، كلها تتميز بإتقان هندسي ومتانة وفن إسلامي وتفاصيل جميلة.

## ●الإنجازات الثقافية

التسامح كان سمة حضارة الأندلس و تشير تجربة الأندلس في تعايش المسلمين والمسيحيين واليهود إلى أن الثقافة لعبت الدور الأكبر في مد الجسور بين الطوائف والأعراق المختلفة. فالحضارة هي الودائع المتراكمة من المعرفة والخبرة والقيم وجودة التميز في الفنون والحرف والأخلاق، أي في الاهتمامات العلمية ، والهندسية والمعمارية والأدبية والفلسفية وغيرها من العلوم والفنون. والثقافة هي خصائص

الأمه الحضارية والفكرية و هي مجموع العقائد والقيم والقواعد التي يقبلها ويمتثل لها أفراد المجتمع. وقد ترك الوجود العربي في الأندلس طابعه في مختلف مجالات الحياة ففي الادارة نجد كلمات في اللغات الأوربية بألفاظها وأصولها العربية مثل خليفة Calife، أمير Emir، والي Vali، وزير Visir، رئيس Reis، القاضي Alcaede، المحتسب Almotocie، الحاجب Alhaque، صاحب المدينة Falmedina، ديوان Diuan، ولاية Vilaget. كما انتقلت كثير من الكلمات والألفاظ العسكرية في الأندلس إلى أوربا مثل: القائد Alcaide، أمير البحر Adbuirate، الدليل Aldalil، الطلائع Alataya، الطائفة Aceifa، العرض Alarde، الرباط Rabate، نفير Anafir، الفارس Alfaroz،بارود Baroud، طرادة Tarffe، جيش Djech، غزوة Rozzia، مرابط Marabout، حراثة Caraque.

# سبق المسلمين لنظرائهم الأوروبيين

حاول بعض الأوربيين التقليل من شأن العرب في نهضة أوروبا وازدهارها وهم ينسون مثلاً أن الإدريسي والخازن قد سبقا نيوتن في القول بالجاذبية، وأن ابن النفيس قد سبق (هارفي) إلى كشف الدورة الدموية، وأن ابن مسكويه قد سبق (دارون) في القول بالتطور، وابن خلدون قد سبق (لامارك) في القول في أثر البيئة على الأحياء، وأن ابن سينا قد سبق علماء الغرب في الطب والمعادن والنبات والحيوان، وأن ابن يونس وابن حمزة قد مهدوا كثيراً بكشوفهما إلى معرفة اللوغاريتمات وحساب التكامل والتفاضل، وأن الخوارزمي أول من ألف في الحساب والجبر بطريقة علمية منظمة، وأول من استعمل الأرقام في الحساب. وللدلالة على عظم التراث العلمي العربي ما خلفوه في خزائن الكتب الموجودة في العالم والمحفوظ منها أسماؤهم في فهارس الكتب لتثبيت مدى عظم الحضارة العربية في مختلف صنوف العلم والمعرفة، وبذلك فقد كان للحضارة العربية الاسلامية فضل جليل على أوربا وكانت عاملاً مهماً في نهضتها.

- الجدول (2) جدول يبين أمثلة بسيطة على تقدم المسلمون وسبقهم لنظرائهم الأوربيين في العلوم مثل الجاذبية والطب والجراحة والحساب والفلك.

- الجدول (3) يوضح بعضاً من كبار مطوري حركة النهضة في البلاد الأندلسية.

جدول (2): **جدول سبق المسلمين لنظرائهم الأوروبيين**

| المجال | الإكتشاف | المسلمون والعرب | الأوروبيين |
|---|---|---|---|
| **الفلك والجغرافية** | **الجاذبية** | الإدريسي 1160م | نيوتن 1726م |
| | **كروية الأرض و خريطة العالم*** | الشريف الإدريسي 1160م | ماركو بولو 1324م ، فاسكوديجاما 1520م |
| **الطب** | **الجراحة** (العمليات، أدوات الجراحة و القسطرة، وقف النزيف بربط الشرايين) | الزهراوي"أبو الجراحة الحديثة"– كتاب"التصريف" 1013م | روقريوس ساليرينتانيوس ألف كتاب"الجراحة" وضع فيه حجر الأساس للجراحة الغربية الحديثة 1180 م . قاي دي كاوليك- كتاب "الجراحة العظيمة" 1363 م. |
| | **علم الصيدلة**: تحضير الأدوية. | الزهراوي 1013م. كتاب الزهراوي في تحضير الأدوية «Liber Servitoris». كتاب ابن البيطار1233م " الجامع لمفردات الأدوية " "المغني في الأدوية المفردة". | مرسوم فريدريك الثاني عام 1240 م بالفصل بين مهنة الطب و الصيدلة .أسس العالم الفسيولوجي صمويل دال أول معمل علم الأدوية بالمانيا عام 1693 م. |
| **علم الإجتماع والتطور في الخلق** | **تطور الأنواع** | ابن خلدون - 1332-1406 م - من أوائل العلماء الذين أشاروا للشبه بين القردة والإنسان في (كتاب مقدمة ابن خلدون) . وابن مسكوية 1332م | دارون ولامارك عام 1809م |
| | **علم الإجتماع** (علم العمران البشري). | ابن خلدون - 1332-1406 م - مؤسسَ علم الاجتماع الحديث (كتاب مقدمة ابن خلدون) ومن علماء التاريخ والاقتصاد. | الفرنسي أوجست كونت 1857 م. |
| **الرياضيات والفيزياء** | **وصف الكون**، صنع أجهزة الرصد، الجداول الرياضية | الحسن المراكشي (1212-1262 م/613-660 ه) نقد وصحح وما ورد في كتاب بطلميوس(170م) «المجسطي» في علمي الجغرافية والفلك و الخريطة التي رسمها بطلميوس، ووضع خريطة جديدة للمغرب العربي. كتابه وصف الكون عالج فيه التوقيت وفن صناعة الساعات الشمسية (المزاول)، وصنع أجهزة الرصد والأسطرلاب وطريقة العمل بها، إلى جانب | **غاليليو 1600م |

CONFIDENTIAL

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | جداول العرض والطول. | |
| | | إبراهيم النقّاش الزرقالي(1029 - 1087م طليطلة ;Arzachel تعني النقّاش باللاتينيّة) هو فلكيي وأول من قاس طول البحر الأبيض المتوسط قياسًا دقيقًا، وصحح البيانات الجغرافيّة لبطليموس- Ptolemy والخوارزمي ، وأوّل من حسب مسار ميل أوج الشمس بالنسبةِ للنجوم الثابتة ، و اخترع نوعًا جديدًا من الأسطرلابات كما ألّف الزرقالي جداول رصد للكواكب تعرف بالجداول الطليطليّة (Toledan Tables) ، وألّف بحثين في آليّة انشاء واستخدام الاكواتوريوم-1080م. | |
| | | ابن رشد (520 هـ- 595 هـ/1126م-1198م، قرطبة )***, في الفلك اكتشف نجماً لم يكتشفه الفلكيون الأوائل وقدم للعالم تفسيراً جديداً لنظرية رشدية جديدة سميت "اتحاد الكون النموذجي". ثم قام بالمشاركة بوصف القمر بغير الواضح والغامض، وقدم للعالم وللغرب أول التفسيرات البدائية والقريبة علمياً لأشكال البقع الشمسية. | |
| **الطيران** | **محاولة الطيران** باستخدام جناحين | عباس بن فرناس**** 810-887م، صاحب أول محاولة للطيران باستخدامه جناحين في محاولة منه للطيران، بالقرب من قصر الرُصافة. وصنع ذات الحلق التي تتكون من سلسلة من الحلقات تمثل محاكاة لحركة الكواكب والنجوم. تكريمًا لاسمه، سُميّت فوهة قمرية باسمه. | الإنجليزي إلمر المالمسبوري (طائرة شراعية) بين عامي 1000-1010 والتي لم تجد من يوثقها. |

* البيروني-1048م-الهند-هو أول من قال إن الأرض تدور حول محورها .

** نظرياته:الحركة والأجسام الساقطة، الشمس هي مركز نظامنا الشمسي وليس الأرض، وعدم تسطّح القمر أو نعومة سطحه

*** بن رشد (اشتهر باسم ابن رشد الحفيد) [Averroes] فيلسوف وطبيب وفلكي وفيزيائي أندلسي يرى أن لا تعارض بين الدين والفلسفة، وأشهر كتبه في الفلسفة كتاب (تهافت التهافت) رد به على الامام الغزالي في كتابه (تهافت الفلاسفة).

**** ابن فرناس صنع أول قلم حبر في التاريخ، وصنع النظارات الطبية، وتكريمًا لاسمه، سُميّت فوهة قمرية باسمه.

CONFIDENTIAL

جدول (3): **بعض كبار علماء و وفلاسفة وأدباء وفلكيي نهضة الأندلس**

| المجال | الإسم | المدينة | العام | الإنجازات |
|---|---|---|---|---|
| **الفلك** | عباس بن فرناس | قرطبة | **887م** | فلكي: اشتهر بمحاولته الطيران باستخدام جناحين. حوّر وطوّر تقطيع وحفر الزجاج المرو(الكوارتز). أنشأ في بيته هيكلاً للأجرام السماوية واخترع "الميقاتة": ساعة مائية بمقدورها تحديد الصلاة. |
| | ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم | قرطبة | **1064م** | من أوائل من برهن على كروية الأرض. كتاب : جمهرة أنساب العرب ، وفي تاريخ الأديان "الفصل في الملل والأهواء والنحل". |
| | الشريف الإدريسي | سبتة و صقلية | **1160م** | وضع خريطة " دائرية " العالم وصنع هيئة للعالم على شكل كرة من الفضة رسم عليها أقاليم العالم وبحاره ومدنه المهمة، فشرح أقاليمها،وقسم العالم الى 70 قسم ورسم خريطة كل قسم، قاس الطول والعرض للبلدان. كتاب: نزهة المشتاق. |
| | أبي إسحاق إبراهيم بن يحيى النقاش،المعروف بالزرقالي. | طليطلة وقرطبة | **1100م** | علم الفلك.صناعة الإسطرلاب و جداول فلكية لمدينة طليطلة. |
| **الطب** * | أبي القاسم الزهراوي | قرطبة | **1013م** | مؤلف موسوعة الطب ترجمت فورا الى اللاتينية.اكبر جراح: أول من اوقف النزيف بالكي وربط الشريان بخيوط الحرير، واستأصل حصى المثانة، استخدم القثطرة في تنظيف المثانة وتنظيف الصدر من الدم، استئصال اللوز، أول طبيب يصف الحمل المنتبذ،استخراج الجنين في الولادات المستعصية، تفتيت الحصى في المثانة،ونجح في عملية شق القصبة الهوائية واكتشف آلة لتوسيع باب الرحم للعمليات ولقب بـ (أبو الجراحة). كتاب: التصريف لمن عجز عن التأليف(قسم في الطب وقسم في الصيدلة وقسم في الجراحة طبع في ثلاثة أجزاء). بحث: في التهاب المفاصل.** |
| | ابن البيطار:ضياء الدين عبدالله بن أحمد بن البيطار [تلميذ ابن الرومية -أشبيلية ثم إسكندرية ، عام 1216م]. | مالقة | **1248م** | أشهر من برز في علم طب الأسنان وجراحتها، وتصنيف الأعشاب والعقاقير الطبية. كتاب: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، استقصى فيه ذكر الأدوية المفردة وأسماءها ومنافعها. |

CONFIDENTIAL

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | ابن زهر:عبدالملك ابن زهر بن عبدالملك بن مروان الإشبيلي | اشبيلية | **1064م** | عالم تخصص في الطب ومارسه طول حياته، واعتمد على التجربة والتدقيق العلمي. كتاب "التيسير في المداواة والتدبير"، "تذكرة في أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه"، و"مقالة في علل الكلى". وصفه صديقه ابن رشد في كتابه "الكليات" بأنه أعظم الأطباء بعد جالينوس. |
| **الشعر والأدب** | ابن زيدون:ابو الوليد أحمد بن عبدالله. | قرطبة واشبيلية | **1003م** | الشعر والأدب والسير والحكم والأمثال. |
| **الفلسفة** | ابن رشد:محمد بن أحمد بن رشد ويكنى أبا الوليد | قرطبة | **1198م** | الفلسفة والشعر والطب والرياضيات والفلك: فيلسوف درس لأفلاطون وارسطو وصحح لإبن سيناء والفارابي.عين طبيب ثم قاضي في قرطبة،قاضي في اشبيلية، ثم قاضي القضاة في قرطبة. أشهر كتبه كتاب (تهافت التهافت) رد به على الامام الغزالي في كتابه (تهافت الفلاسفة). |
| | ابن باجه | سرقسطة | **1095م** | من أبرز الفلاسفة المسلمين، اهتم بالطب والرياضيات والفلك والادب والموسيقى |
| | ابن طفيل | وادي آش | **1150م** | الفلسفة و الأدب و الرياضيات و الفلك و الطب. صاحب قصة "حي بن يقظان" التي ترجمت إلى اللاتينية والهولندية ونقلت إلى أكثر اللغات الأوربية. |
| **علم النبات و الفلاحة** | ابن العوام :أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد الاشبيلي | اشبيلية | **1175م** | ألف "كتاب الفلاحة" (الزراعة) و دليلاً مطولاً عن الزراعة بعنوان "كتاب حول الزراعة"، وموسوعة زراعية لأكثر من ألف صفحة. |
| | أبو جعفر محمد بن أحمد الغافقي. | قرطبة | **1160م** | علم النبات والصيدلة. كتاب: الأدوية والمفردات. |
| | ابن سَمَجون | قرطبة | **1000م** | الفلاحة النبطية(السريانية) والنباتات الطبية. |
| **علم الإجتماع** | ابن خلدون:عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي | اشبيلية | **1332م** | مؤسّس علم الإجتماع & كتاب مقدمة ابن خلدون-المقدمة- (قوانين العمران ونظرية العصبية، وبناء الدولة وأطوار عمارها وسقوطه).اشتهر بالوساطة وعقد الصلح بين المتخاصمين من الحكام. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب. |
| **التاريخ والتراجم** | ابن حيان القرطبي | قرطبة | **1076م** | مؤرخ اندلسي |
| **الفن** | زرياب(طيرمغريد) :ابو الحسن علي | قرطبة | **845م** | اسس مدرسة للغناء والموسيقى.اسس الموشحات الأندلسية مع مقدم بن معافى القبري.زاد اوتار العود الى خمسة و ادخل |

CONFIDENTIAL

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | بن نافع مولى المهدي الخليفة العباسي. | | | | مقامات كثيرة والنشيد قبل النقر. |

* **ابن سينا** -علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا (توفي في همدان سنة 427 هـ-**1037م**): عالم وطبيب فارسي من بخارى اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. أول من كتب عن الطبّ في العالم ولقد اتبع نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس. وأشهر أعماله كتاب القانون في الطب الذي ظل لسبعة قرون متوالية المرجع الرئيسي في علم الطب، وبقي هذا الكتاب العمدة في تعليم الطب في جامعات أوروبا حتى أواسط القرن السابع عشر. ويُعد ابن سينا أوَّل من وصف التهاب السَّحايا الأوَّليّ وصفًا صحيحًا، ووصف أعراض حصى المثانة ، ووصف أسباب اليرقان، وانتبه إلى أثر المعالجة النفسانية في الشفاء. كتاب الشفاء هو موسوعة كبرى في العلوم الطبيعية وما بعد الطبيعة في خمسة مجلدات("الإلهيات" ، والأربعة الباقية عن "المنطق").أما أبو بكر**الرازي** (توفي في الري قرب طهران سنة 311هـ/**923**م) فوصف بأنه "أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق"، حيث ألف كتاب "الحاوي في الطب" الذي كان يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق حتى عام 925م وظل المرجع الطبي الرئيسي في أوروبا لمدة 400 عام بعد ذلك التاريخ.

** **ابن النفيس-**أبو الحسن علاء الدين علي الدمشقي-(607هـ/1213م، دمشق - 687هـ/1288 م) هو مكتشف الدورة الدموية الصغرى،وأحد رواد علم وظائف الأعضاء في الإنسان(فيزيولوجيّ)،عين رئيسًا لأطباء مصروظل الغرب يعتمدون على نظريته حول الدورة الدموية، حتى اكتشف الإنجليزي ويليام هارفي الدورة الدموية الكبرى عام 1628 م.

# الأندلس- الفتح و السقوط

## تحليلات قصيرة

# Andalus-The Conquest and Fall

## Short Analysis

نبيل بن على

Nabil Ben Aly

Copyright © 2023 Nabil Ben Aly

All rights reserved.

No part of this book can be reproduced in any form or by written, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or by any information retrieval system without written permission in writing by the author.

الناشر: نبيل بن على Published by Nabil Ben Aly

Printed by Book Printing UK www.bookprintinguk.com

Remus House, Coltsfoot Drive, Peterborough, PE2 9BF

Printed in Great Britain

Although every precaution has been taken in the preparation of this book, the publisher and author assume no responsibility for errors or omissions. Neither is any liability assumed for damages resulting from the use of information contained herein.

ISBN: 978-1-8383865-1-1